روايات الجيب

شرلوك هولمز

عشيقة السفاح



عشيقة السفاح

تأليف

السير « أرثر كونان دويل »

بطلهـــا

شرلوك هولمــز

هذه السـلسلة

ترجمة لانتاج الكاتب الروائى الكبير

السير آرثـر كونان دويل

وتحتوى على مغامرات وقصص

البوليس السرى الشـهير

شـرلوك هولمـز

كما تحتوى على جميع الأعمال الأدبية لهذا الكاتب الكبير

عشيقة السفاح

أخيرا سمح لى المستر شرلوك هولمز بنشر هذه القض
التى كانت من أخطر القضايا التى عالجها صديقى والتى كان
أحد الأسباب فى شهرته العظيمة .

وكنت قد سألته عشرات المرات ان يأذن لى بتسجيله
ونشرها ولكنه كان فى كل مرة يرفض قائلا :

- لم يحن الوقت المناسب بعد !

ولكن لقد مضت عشر سنوات على تلك الحادثة الخطير
الان فلما اخبرته بذلك وان لا خطر على أحد من نشر الجريم
اقتنع وقال :

- لا ضرر من نشرها الآن !

كنت أنا وشرلوك نذهب كثيرا الى الحمام التركى ونجد
فيه متعة وراحة . وقد وجدت صديقى على طبيعته أثنـا
وجوده بالحمام ولاحظت انه اكثر مرحا وانسانية عندما يكون
جالسا فى الغرفة التى نجفف فيها انفسنا .

فقد كان يجلس فيها يدّخن غليونه فى نشوة وراحة فيتبسط
فى الحديث ويفارقه جموده وصمته الثقيل .

ذهبنا الى الحمام الموجود فى شارع نور ثمبرلاند واستلقين
جنبا الى جنب فى أحد الأركان المنعزلة . وكان ذلك فى

اليوم الثالث من شهر سبتمبر عام ١٩٠٢ ، وهو اليوم الذى بدأت فيه هذه القصة .

سألته ونحن فى استرخاء عما اذا كان هناك شىء جديد مثير يشغله فى الوقت الحاضر . ولم يجبنى ولكنه اخرج ذراعه من تحت الأغطية التى تدثر بها ومدها الى جيب معطفة المعلق قريبا منه فاخرج منه مظروفا وناوله لى وهو يقول :

ـ قد يكون الذى أرسله شخصا مغرورا ، أو محبا للظهور كاولئك الأشخاص الذين يثيرون حولهم ضجة مفتعلة . وقد يكون الأمر خطيرا .. قد تكون مسألة حياة أو موت .. فاننى لا أستطيع أن أعرف شيئا عنه أكثر مما فى هذه الرسالة ، التى وصلتنى من نادى كارلتون . ويبدو من تاريخها أنها كتبت أمس مساء .

وهذا هو نص الخطاب :

« ان السير جيمس دامرى يقدم تحياته الى المستر شرلوك هولمز وسوف يزوره غدا صباحا فى الساعة الرابعة والنصف .

ويرجو السير جيمس ان يخبر هولمز أن المسألة التى سوف يستشيره فيها على غاية من الخطورة والأهمية .

ولهذا فهو يأمل ان يبذل المستر هولمز أقصى جهده لاتمام هذه المقابلة الهامة . كما يرجوه ان يوافق عليها تليفونيا فيتصل بنادى كارلتون » .

بعد أن قرأت الرسالة اعدتها . فقال هولمز :

ـ لا حاجة لأن أخبرك ياوطسون آننى قد اتصلت بالنادى لأؤكد اننى موافق على تلك المقابلة . وهل تعرف شيئا عن هذا الرجل دامرى ؟

فاجبته بقولى :

ـ كل ما أعرفه أن هذا الأسم معروف ومشهور وصاحبه شخصية لها أهمية فى المجتمع .

فقال هولمز :

ـ حسنا . ولكننى سوف أضيف الى معلوماتك شيئا جديدا أنه مشهور أيضا بتسوية كثير من المسائل الهامة التى تبقى فى طى الكتمان بالنسبة للصحافة . وربما سمعت عن المناقشات والمحادثات التى دارت بينه وبين السير جورج لويس حول وصية همر فولد المشهورة .

ان دامرى رجل مشهور وله مستقبل سياسى لامع ، ولهذا فاننى اعتقد أن الأمر ليس افتراء أو ادعاء ، بل أن الرجل فى حاجة ماسة الى مساعدتنا .

ـ مساعدتنا نحن الأثنين !

ـ نعم . اذا تكرمت يا وطسون بمعاونتى فى هذه القضية .

ـ ان هذا سيكون شرفا لى وتقديرا عظيما .

فقال هولمز :

- اذن فسوف تحضر ذلك الاجتماع فى الساعة التى ذكرها ، أما الان فلنترك هذا الموضوع حتى ذلك الوقت .

كنت فى تلك الأيام اقيم فى منزلى الخاص بشارع الملكة آن . وقد تركت منزلى مبكرا فى ذلك اليوم ووصلت شارع بيكر قبل الموعد المحدد .

وفى تمام الساعة الرابعة والنصف كان الكولونيل السير جيمس دامري بالباب .

كان ضخم الجسم . بشوشا ، ذا وجة عريض حليق . ولكن أهم ما يلفت النظر هو صوته العذب الذى ترتاح اليه الأذن .

وكانت عيناه تنقطعان بصراحة الرجل الايرلندى وصدقه . وعلى فمه ابتسامة طبيعية جذابة .

وكان كل ما يرتديه السير جيمس يدل على حسن الذوق والاناقة كما يدل على النبل والاصل الكريم .

لما دخل الغرفة انحنى يحيينا وابتسم وقال :

- طبعا كنت أعرف أننى أجد الدكتور وطسون هنا . ان معاونته قد تكون ضرورية جدا . فاننا نواجه فى هذه القضية يا مستر هولمز ، رجلا تعود على أعمال العنف والقتل ، بحيث لا يقف شىء فى وجهه . وأستطيع أن أقول دون مغالاه أنه أخطر رجل فى أوروبا كلها !

فأجابه هولمز وهو يبتسم :

- لقد واجهت الكثيرين من الرجال الذين يتصفون بهذه الصفات ..

ثم قدم له سيجارة ولكن الكولونيل قال :

- شكرا . اننى لا أدخن !

فاستمر هولمز يقول :

- ألا تدخن ؟ اذن فأرجو المعذرة أن أشعلت غليونى . ولكن اذا كان هذا الرجل الذى تتحدث عنه أشد خطرا من المرحوم البروفيسور موريانى أو من الكولونيل سباستيان موران ، فهو اذن جدير بأن أواجهه !

هل من الممكن أن أعرف اسمه ؟

فأجابه السير جيمس :

- هل سمعت فى حياتك عن البارون جورنر ؟

- تقصد السفاح النمساوى ؟

ضحك الكولونيل وهو يرفع يديه اللتين وضع فيهما قفازا ثمينا وقال :

- لا يغيب عنك شىء يا مستر هولمز ! انك مدهش جدا ! اذن فقد وصفته بأنه سفاح قاتل ؟ !

ـ ان عملى يتطلب منى أن أكون على علم بكل الجرائم التى تحـــدث فى أوروبا ٠

فمن ذا الذى قرأ ما حدث فى مدينة براغ ولم يساوره الشك فى أن هذا الرجل مجرم ؟

انه لم ينج من العقاب سوى بعض ثغرة فى الاجراءات القانونية ثم وفاة أحد الشهود فى ظروف مريبة ٠

اننى واثق تماما أنه هو الذى قتل زوجته عندما وقع ذلك الحادث المزعوم فى ممر سبلوجن ٠ بل اننى أكاد أعرف التفاصيل حتى كأننى كنت معه حينئذ ورأيت كيف ارتكب جـريمته ٠

وقد علمت أيضا أنه قد حضر الى انجلترة ٠ وقد شعرت فى قرارة نفسى اننى سأواجهه عاجلا أو آجلا !

والآن ماذا فعل البارون جرونر ؟

أم أن تلك المأساة القديمة قد عادت الى الظهور مرة ثانية ؟

فقال الكولونيل :

ـ كلا ٠ ان الحادثة الجديد أخطرو أكبر من سابقتها ، ولا شك أنك تعرف يامستر هولمز أن القصاص واجب عند وقوع الجريمة ، ولكن الواجب الأعظم هو منع الجريمة من أن تقع ٠

ان الأمر جد خطير . ومن افظع الأمور ان تعرف ان حادثا بشعا سوف يقع أو أن جريمة شنيعة سوف ترتكب ، وان تعلم نتائجها واهدافها ، ومع ذلك تقف عاجزا تماما عن الحيلولة دون وقوعهـــا .

فهل من الممكن أن يوجد انسان فى ظروف أقسى من هـــذه ؟

فأجاب هولمز :

ـ لا أعتقد ذلك !

ـ اذن فسوف تعطف على الشخص الذى جئت لأقابلك من أجله .

ـ لم أعتقد فى البداية أنك مجرد وسيط . فمن يكون ذلك الشخص الذى تتكلم بلسانه ؟

ـ أرجوك يا مستر هولمز الا تلح فى السؤال عن أسمه . فان من الواجب ان يطمئن صاحبى ان شخصيته السامية وأسمه الكبير لن يقحما فى هذه القضية .

ولكننى أؤكد لك أن الدوافع التى جعلته يتدخل فى هذه القضية هى دوافع نبيلة شريفة ألجأته اليها مروءته وشهامته ولكنه يفضل أن يبقى وراء الستار .

وأحب أن أؤكد لك أيضا أنك سوف تحصل على أتعابك كاملة ولك أن تحدد الأجر الذى تشاء ولعلك توافق معى على أن أسم صاحبى ليس من صلب القضية .

فقال هولمز :

ـ اننى آسف ياسيدى . فاننى لا أعمل فى مثل هـــذه الظروف . وليس أمامى سوى أن أرفض تحقيق هذه القضية .

عندئذ دهش الكولونيل وانزعج وبدت على ملامحه علامات التأثر والاضطراب وقال :

ـ انك لا تقدر نتائج هذا القرار لذى اتخذته يا مســتر هولمز ثم أنك تضعنى فى موقف حرج . ولكننى أحب أن أؤكد لك انك سوف تقوم بالتحقيق فى هذه القضية بكل فخر واعتزاز لو أننى اخبرتك بتفاصيلها واشخاصها .

على اننى تعهدت أن لا أبوح بكل شىء . فهل يمكننى على الأقل أن أذكر لك التفاصيل التى يحق لى أن أقولها ؟

ـ أفعل ما تشاء ولكننى أحب أن تفهم اننى لا أعد بالتدخل فى القضية على الأسس التى ذكرتها لى .

ـ اتفقنا . وسأبدأ حديثى بالقول أنك لاريب سمعت باسم الجنرال دى ميرفيل ؟

ـ نعم . أعرف أنه عسكرى من الدرجة الأولى .

ـ أن له تسمى فيوليت دى ميرفيل . وهى أجمل فتاة رايتها ذات حسن عظيم وفتنة كبيرة وثراء واسع وشخصية نادرة فى عالم النساء .

هذه الفتاة البريئة التى نحاول انقاذها من براثن وحش مفترس .

- تعنى أن البارون جرونر قد أثر عليها واوقعها تحت سيطرته .

- نعم تسلط عليها باقوى وسيلة .. بالحب !

فان هذا الشخص . كما لابد وأنك سمعت وسيم وجذاب ، وله وسائل تفتن المرأة وتستولى على قلبها . ويقال أنه له ضحايا كثيرات من النساء ، وانه يستغل صفاته فى الايقاع بهن .

- ولكن كيف استطاع هذا الرجل أن يسيطر على فتاة كالآنسة فيوليت ذات الثراء والجاه ؟

- لقد تعرف عليها أثناء رحلة على ظهر أحد اليخوت فى البحر الأبيض المتوسط ، وقد أستطاع أن يغرر بها بينما كان أصحاب الشأن لاهين فلم ينتبهوا لما وقع الا بعد فوات الأوان .

ولقد استعمل هذا الرجل الدنىء جميع الوسائل للايقاع بها حتى استطاع أن يظفر بقلبها وان يجعلها تتعلق بـه تعلقا شديدا . ولا يمكننى أن أصف لك شعورها نحوه مهما أوتيت من بلاغة وفصاحة .

انها متيمة بحبه ، متعلقة به ، ومستعدة ان تفعل من اجله اى شىء وأن تتحمل فى سبيل حبه كل مكروه . وقد اصمت أذنيها عن اية نصيحة ، ولم تصدق اية كلمة تقال عنه .

انه فى الحقيقة مجنونة به جنونا لاشفاء منه . وقد بذلت محاولات كثيرة لردها الى طريق الصواب وابعادها عنه دون جدوى .

واريد أن اقول باختصار أنها مصممة على اتمام زواجها به فى الشهر القادم . وأنت تعرف أنها بلغت السن القانونية التى تخول لها ان تفعل ما تشاء . وهى ماضية فى عزمها وتصميمها ولا ندرى ماذا نفعل حتى نثنيها عن عزمها .

فقال هولمز :

- ولكن هل سمعت الفتاة عن الحادث الذى ارتكبة جرونر فى النمسا ؟

- أعتقد ذلك . فان هذا الشيطان قد أطلعها على مخازية وفضائح حياته الماضية . ولكنه بالطبع صاغ كلماته فى أسلوب شيق مثير جعله يبدو كانه برىء ومجنى عليه .

ومن المؤسف أنها آمنت بما قال وصدقت كل كلمة تفوه تفوه بها . ولم تستمع لنصيحة أحد أو تستشر كائنا ما .

- يالها من مسكينة ! ولكن الا ترى أنك قد كشفت بحديثك

هذا عن اسم صاحبك الذى جئت نائبا عنه ؟ أليس هـو
الجنرال دى ميرفيل ؟

عندئذ تململ الكولونيل من مقعده وقال :

ـ أستطيع أن أضلك يا مستر هولمز فأقول أنه هو . ولكننى
أكون كاذبا لو أجبت بنعم على سؤلك . فان الجنرال الآن
رجل كبير محطم . لقد تسبب هذا الحادث فى يأسه بعد أن
كان ذلك الجندى الشجاع الباسل .

أنه لم يطلق احتمال هذه الصدمة الفظيعة فتحطمت
أعصابه وخانته شجاعته وأقعده اليأس والحسرة ، حتى أصبح
رجلا عاجزا عن مقاومة هذا المجرم النمساوى الواسع الحيلة
الشديد الدهاء !

ان صاحبى الذى جئت من أجله صديق قديم ، تربطه
بالجنرال صداقة وثيذة منذ أمد بعيد ، وقد كان يعتبر فيولين
ابنته منذ أن كانت طفلة صغيرة .

ولهذا فانه لا يستطيع السكوت على مثل هذه المأساة
ولا يطيق أن يراها تقع أمام ناظره دون أن يفعل شيئا لمحاولة
منع وقوعها .

واعتقد أن ليس فى هذه القضية ما يدعـــو رجال بوليس
سكتلنديارد الى التدخل وما يوجب الاستنجاد بهم . ولهذا
نصح صديقى باستشارتك وطلب مساعدتك .

ولكنه اشترط أن لا يقحم اسمه فى هذه القضية .

واننى لموقن تماما يا مستر هولمز أنك قادر بما أوتيت من مواهب خارقة على أن تكشف النقاب عن شـــخصيتى صديقى هذا .

غير أننى أرجوك وأستحلفك أن لا تحاول ذلك وأن لا تصمم على اكتشاف حقيقة أمره والكشف عن اسمه وشخصيته .

فقال هولمز وهو يبتسم :

- لا بأس ! اذن فاننى أعتقد أن هذه قضية مثيرة تعجبنى وسوف أكون مستعداً للعمل فيها . وأننى أعدك بما تطلب . ولكن كيف يمكننى أن أتصل بك عند اللزوم ؟

- فى نادى كارلتون . أما فى الحالات الضرورية المستعجلة فيمكنك أن تطلبنى بهذا التليفون الخاص «٣١» .

وضع هولمز مفكرته فوق ركبته وسجل فيها الرقم ثم قال وهو مازال يبتسم :

- أين يقيم البارون ؟

- فى قصر فيونون قرب كنجزتون . أنه يملك أموالا طائله وهذا ما يجعله أكثر قوة وأشد خطرا .

- هل يقيم بهذا القصر فى الوقت الحاضر ؟

- نعم .

ـ هل يمكنك ان تذكر لى اية معلومات عن هذا الرجل غير تلك انتى ذكرتها لى ؟

ـ أنه يميل الى الفنون ، ويهوى سباق الخيل ويجيد لعب البولو . كما أنه مغرم بجمع الصور والكتب . وهو أيضا خبير فى الخزف الصينى . وقع ألف كتابا عنة .

فقال هولمز :

ـ ياله من شخصية معقدذ . انه كغيره من كبار المجرمين ولكن مهما يكن ارجو أن نبلغ صديقك يا سير جيمس أننى ساهتم بهذا البارون . وسوف أعرف كل شىء عنه بوسائلى الخاصة .

بعد أن أنصرف زائرنا جلس هولمز مدة طويلة يفكر تفكيرا عميقا ، حتى ظننت أنه نسى أننى بجانبه . فقد كان يحلق فى جو آخر . على أنه ما لبث ان انتبه لنفسه وقال لى :

ـ هل كونت لنفسك رأيا فى هذا الموضوع ياوطسون ؟

ـ اننى اعتقد أن من الأفضل أن تقابل الفتاة نفسها .

ـ يا عزيزى وطسون .. اذا كان والدها المحطم القلب لم يستطع أن يؤثر عليها . فكيف استطيع وأنا الشخص الغريب عنها ، أن أنجح فيما فشل فيه ؟

وعلى اية حال لا بأس باقتراحك . ولكننا لن نلجأ اليه الا بعد أن تعيينا الحيلة فنجد أن ذلك لا بد منه .

ولكننى أعتقد أن علينا أن نبدأ من نقطة غير هذه . وفى رأيى أن شنويل جونسون هو الذى سوف يفيدنا .

فى الحقيقة اننى لم أجد الفرصة المناسبة عند تسجيل هذه المذكرات للتعرف على شنويل جونسون هذا . لأنه انما أصبح ذا أهمية فى حياة صديقى هولمز فى قضاياه الأخيرة .

ففى السنوات الأولى من مطلع هذا القرن كان جونسون يساعد صديقى مساعدة فعالة . ويؤسفنى أن أذكر أن جونسون بدأ يظهر ويشتهر كمجرم خطير عرفته سجون لندن أكثر من مرة .

ولكنه أخيرا ندم وتاب ووضع نفسه فى خدمة هولمز حتى أصبح أشهر عميل له ينقل اليه أخبار عالم الاجرام فى لندن ، فيمده بمعلومات ذات قيمة لا تقدر بثمن ، وكانت ذات أهمية كبرى فى بعض القضايا .

ولو كان جونسون قد عمل لحساب البوليس لا نكشف أمره ، ولكنه اشترك فى قضايا لا تعترض مباشرة أمام المحاكم . ولهذا ظلت حقيقة امره مجهولة من جميع أصحابه

وقد كان سجله وماضيه فى عالم الجريمة جوازا يخول له دخول نوادى القمار والبيوت السرية والنوادى الليلية دون اعتراض .

وقد زاد من خطره وأهميته كعميل لشرلوك هولمز انه يتمتع بقوة هائلة على الملاحظة مهما كان الوقت قصيرا ، كما أنه سريع التصرف حاضر البديهة ٠

لهذا كان أخطر أعوان هولمز ٠

هذا هو الشخص الذى اقترح صديقى أن نبدأ القضية بمقابلته ٠

لم يكن من الممكن بالنسبة لى أن أطلع على الخطوات العاجلة التى اتخذها صديقى هولمز ، لأنه كانت لدى أعمال خاصة تتعلق بمهنتى ٠

ولكننى اتفقت معه على أن نلتقى فى المساء فى محل سمبسون ، حيث جلس الى مائدة صغيرة أمام احدى النوافذ ، وأخذ يمعن النظر الى الحياة الدائبة والحركة التى لا تنقطع أمامه فى ميدان ستراند ٠ وقد أخبرنى بما جرى أثناء غيابى ٠ فقال :

ـ أن جونسون قد أسرع للعمل ٠ فقد يعثر على أدلة هامة فى تلك الأركان المظلمة من عالم لندن الخفى ٠ لأن ذلك هو المكان الصحيح الذى نستطيع أن نعثر فيه على أسرار خصمنا اللدود ٠

فقال هولمز :

ـ ولكن اذا كانت الفتاة نفسها تستمع لأية نصيحة أو

تهتم بكل ما قيل لها حتى الآن فكيف تستطيع انت أن تثنيها عن عزمها باى كلام جديد أو اكتشاف آخر عن ذلك الرجل ؟

فأجاب بقوله :

- من يدرى ياعزيزى وطسون ؟ أن قلب المرأة لغز غامض كعقلها وهما شيئان غامضان بالنسبة للرجل ! فانها مثلا قد تجد مبرر الجريمة قتل شنيعة ، ولكنها تثور وتغضب لسبب آخر أتفه من هذا بكثير . وقد قال لى البارون جرونر ...

فقاطعته مدهشا .

- البارون جرونر قال لك ؟

- اننى لم أذكر لك الاجراءات التى أنوى اتخاذها . ولابد لى من ذكر خطتى لتكون على علم بها . فاننى أفضل أن اقابل غريمى دائما وجها لوجه حتى اختبر مدى قوته وأدرس طبيعته وامكانياته !

اننى بعد أن أصدرت تعليماتى الى جونسون أخذت عربة وذهبت الى كنجزتون . وهناك وجدت البارون جرونر ، وكان فى أحسن حالاته !

- وهل عرف من تكون ؟

- طبعا ، انه لم يجد فى ذلك اية صعوبة : وقد ارسلت اليه بطاقتى !

وقد وجدت فيه خصما يستحق أن أهتم به وأقدر قوته . وقد كان هادئا كالحية الرقطاء !

ثم أن أصله العريق وصوته العذب يجعلانه من أخطـــر المجرمين لأنه يستطيع أن يجعلك بكل بساطة تتناول الطعام وقد وضع لك فيه ســـما ،

أنه ليسرنى جدا أن الظروف أتاحت لى الاهتمام برجل كالبارون البرت جرونر !

- أنك ذكرت أنك وجدته فى أحسن حالاته .

- نعم وجدته وديعا وكأنه القطـــة النائمة التى تتحفز للانقضاض على الفأر .

ولا أنكر عليك ياعزيزى وطسون ان الابتهاج الذى يكون فيه بعض الناس أشد فتكا وخطرا من التحفز السافر والعنف الواضـــح .

ان جرونر قد رحب بى بلهجة غريبة وقال :

- كنت أتوقع أن أراك يا مستر هولمز سواء الآن أو فيما بعد . ولا شك ان الجنرال دى ميرفيل هو الذى استعان بك للتدخل فى أوامر زواجى من ابنته فيوليت ، وطلب منــك أن تعمل على عدم اتمام هذا الزواج . أليس كذلك ؟

فلما اجبته بالايجاب استطرد قائلا :

ـ اريد أن أقول لك يا مستر هولمز أنك لن تستفيد من وراء تدخلك هذا . بل بالعكس انك سوف تقضى على شهرتك التى انما حصلت عليها بمالك من مواهب وكفاءات .

واننى لأؤكد لك يا صديقى العزيز انك لن توفق فى هذه القضية ولن تخرج منها الا صفر اليدين هـــذا الى جانب ما قد تتعرض لله من اخطار . لهذا دعنى انصحك نصيحة من القلب ان تترك هذه القضية العقيمة !

وعندئذ اجبته بقولى :

ـ ان من العجيب حقا انك تقدم لى نفس النصيحة التى كنت سأقدمها انا لك ! اننى أقدر امكانياتك يا سيدى البارون ولا انكر انك ذكى وقادر ولكن دعنى أقولها لك بصراحة . ان احدا منا لا يريد أن يظهر حقيقتك أو يكشف عن ماضيك فيزعجك بدون داع .

ان الماضى قد فات وانقضى ، وقد نجوت منه وأصبحت الآن آمنـــا مطمئنـــا .

لكنك ان أصررت على أتمام هذا الزواج فسوف تحلب على نفسك عداوة خصوم أقوياء لن يتركوك . ناعم البال حتى تضيق بك انجلترا قاطبه فهل النتيجة تكافىء هذا ؟ الحق

أن من الخير لك أن تدع الآنسة وشانها ·· ولن يسرك ان تطلع على ما خفى عنها من حقائق ماضيك » ·

وكان البارون ينصت الى كلامى هذا ، ياعزيزى وطسون، وشارباه الرفيعان المدببان يختلجان طربا وما لبث أن ضحك ضحكة رقيقة واجابنى قائلا · « ارجو أن تتجاوز عما ترى من سرورى يا مستر هولمز ولكن حقا أن أراك تحاول (اللعب) وليس فى يديك أية (أوراق) قط ·

ـ « اذن فهذا رأيك ؟ · » ·

ـ « بل هذا ما أعلمه ودعنى أوضح لك الموقف ، فان يدى ممتلئه (بالأوراق) الرابحة الى حد يمكننى من اظهارها لك ·· فانى قد ظفرت كل الظفر بحب هذه الفتاة ·· وقد منحتنى حبها رغم انى اوضحت لها بكل جلاء ما كان من وقائع حياتى الماضية ·· وقد أنبأتها كذلك أن بعض الناس المغرضين المضللين ـ واياك اعنى واسمعى ياجارة ـ سيسعون اليها بالوشايه وينقلون اليها أحاديث هذا الماضى ولقنتها كيف ينبغى أن تقابلهم متى جاءوها · وبفضل هذا الايحاء الذى لاريب فى أنك تقدر تأثيره لديها ، ستجدها متأهبة للقائك· كما ستلقاك أيضا · تنبيه لرغائب والدها تطيعه فى كل شىء ، الا هذا الشىء !! » ·

وهكذا يا عزيزى وطسن لم يبق ما يقال بينى وبين هذ الداهيه فاستاذنت منه بكل ما وسعنى من وقار وبرود ··

على أنى ماكدت أضع يدى على مقبض الباب حتى قال لى : » قلى لى يا مستر هولمز .. هل سمعت باسم (لوبران) البوليس السرى الفرنسى ؟ » .

فلما أجبته بالايجاب أردف قائلا : « هل تعـــرف ماذا حل بة ؟ » .

« سمعت أن بعض أوباش حى (مونمارتر) قـــد اعتدوا علية وأقعدوة مدى الحياة » .

ـ « صدقت يا مستر هولمز .. ومن عجيب المصادفات أن (لوبران) هذا قد كان يتجسس على ويحشر أنفه فى شئونى الخاصة قبل الحادث باسبوع واحد ! فلا تفعل مثله يا مستر هولمز ! فليس هذا من حسن حظك فى شىء ! وقد آمن بهذه الحقيقة كثيرون غيره . وكلمتى الأخيرة اليك هى أن تذهب فى طريقك وتتركنى أذهب فى طريقى ... مـع السلامة !»

هذا ما دار بينى وبين ذلك المجرم الكبير يا عزيزى وطسن .. لعلك الآن على علم بكل ما تم فى غيابك ...

فقلت لصديقى شرلوك هولمز وقد فرغ من سرد قصته : أنه مخلوق خطر .

ـ كل الخطر ياعزيزى وطسن .. انى لا أحفل بالرجل القوال الصخاب .. أما هذا الرجل فمن الطراز القليل الذوق يقول اقل مما يضمر وينتوى .

ـ هل يجب اذن أن تتدخل فى القضية ؟ وهل يعنيك فى شىء اذا تزوج هذه الفتاة أو لم يتزوجها ؟

ـ مادام قد قتل زوجته السابقة فان الأمر يعنينى كل العناية ثم هناك موكلنا الكبير ، الواقع أن هذا التدخـــل مســـألة مفروغ منها وستذهب الآن معى الى البيت حيث ينتظرنى (شنويل جونسون) .

وقد وجدنا (جونسون) فى انتظارنا حقا .. وهـو شخص ضخم غليظ الملامح أحمر الوجه أسود العينين ، ينم بريقيها الملحوظ على خبيئة نفسه الماكرة .

والظاهر أنه هبط الى قاع عالمة (السفلى) ثم انتشل منه احدى كائنات العجيبة التى جاء بها فى شـكل فتاة نحيلة شاحبة خطت الذنوب والآثام آثارها فى صفحة وجهها المبتئسى .

وقال (جونسون) وهو يومىء بيده الى الفتاة الجالسة بقربه :

ـ أقدم اليك الآنسة (كيتى ونتر) يا مستر هولمز .. ولا أظنها تجهل شيئا فى هذه الدنيا . وقد وضعت يدى عليها بعد ساعة واحدة من ورود رسالتك .

وقالت الفتاة : من السهل مقابلتى .. فعنوانى ثابت معروف فى الجحيم ! . وانا وجونسون صديقان قديمان ..

ولكن هناك شخصا آخر يجب أن يكون فى اسفل من جحيمنا هذا لو كان فى الدنيا عدالة وانصاف ! هذا هو الرجل الذى تبحث عنه يا مستر هولمز !

فقال هولمز باسما . أحب أننا نشاطرك هذه النية يا مس ونتر .

فقالت الزائرة الشابة فى عنف وحقد مضطرم مرير :

- لو أتيح لى مساعدتك فى جعله حيث يجب أن يكون لصرت لك عبدة مدى الحياة !

لست فى حاجة الى الوقوف على تفاصيل حياتى الماضية يا مستر هولمز فأنها لن تهمك فى كثير ، وليست هى فى صميم الموضوع .

لكنى لم أصر الى ما أنا الآن الا بفعل (أدلبررت جرونر) !

فمن لى بمن يمكننى منه ، ويقضى عليه كما قضى على !

ان امنيتى الوحيدة فى الحياة أن اقذف به فى الحفرة التى طالما قذف فيها الكثيرات !

- هل تعرفين وضع الموقف الحالى ؟ .

- أخبرنى جونسون به .. فان (جورنر - يضع شراكه حول فتاة أخرى مسكينة بلهاء ، ويريد أن يتزوجها هذه المرة .. وانت تنوى احباط هذا الزواج . وعنـدى انك

تعرف عن هذا الشيطان ما يكفى لمنع كل فتاة صالحة عاقلة من الاتصال بهذا المخلوق الفسد الممقوت . - انها جنت غراما به .. وقد قيل لها كل شىء عنه .. لكنها لا تكترث بشىء .

- هل قيل لها عن جريمة القتل التى ارتكبها ؟ . - نعم .

- يالها من فتاة قوية الاعصاب ! .

- أنها عدت هذا كله من قبيل الوشايات .

ألم يمكنك أن تقنعها بالادلة المادية ؟ .

- أيمكنك مساعدتنا فى هذه الغاية ؟ .

- أليس فى شخصى الدليل الصارخ ؟! لو انى واجهتها واخبرتها مافعل بى . - اتفعلنى هذا ؟ . - أفعل ؟ أتسألنى هذا السؤال ؟! - لا بأس . هذه تجربة لا بأس بها . لكنه اعترف لها بكل ذنوبه وفاز بغفرانها وأعتقد أنها لن تسمح بتجديد الكلام فى هذه الناحية .

فقالت مس ونتر : أؤكد لك انه لم يخبرها بكل شىء .. فانى رأيت بعض الجرائم الأخرى التى ارتكبها غير تلك الجريمة الكبرى . لكنى لم أهتم بامرها فى ذلك الوقت اذ كنت احبه وكنت اتجاوز عن كل شىء يصدر منه ! كما تفعل الآن هذه الفتاة البلهاء ! ولولا لسانه السام الكذوب الذى يلطف ويواسى ، لهجرتة من أول ليلة !

لكن كان هناك شىء واحد هزنى من أساسى .
هو مجلد أنيق فى غلاف ذى قفل وعليه شعاره بالذهب .
وفى يقينى أنه كان مخمورا فى تلك الليلة ، ولولا ذلك لما أطلعنى عليه .

- ماهو هذا المجلد ؟ .
- اليك البيان يا مستر هولمز .

ان هـــذا الرجـــل (يجمع) النســاء .. ويفاخر « بمجموعته » .. كما يفعل هواة جمع الفراش وغيره ؟
والمجلد يضم كل شىء .

يضم صور النساء اللاتى أغراهن بأسماءهن . وتفاصيل آثامه معهن . وكل ما يقال وما لا يقال عنهن !

هو مجلد داعر شائن !
مجلد لا يفكر انسان فى أبتداع مثله ، حتى ولو كان من الدرك الاسفل .

لكنه مجلد صنعه (ادلبرت جرونر) . ولو شاء لجعل عنوانه : (قلوب حطمتها) !

ومهما يكن ، فان هذا المجلد لن يفيدك ، ولو أفادك ، لما استطعت الحصول عليه .

فقال : هو لمز وأين يحفظه !
- كيف أعرف مكانه فى الوقت الحالى ؟ انى فارقته منذ أكثر من عام ، وكنت أعرف اين يضعه فى ذلك الوقت

انه رجل منظم دقيق فى كافة اطوارة ، وقد لا يبعد ان المجلد ما يزال باقيا فى درج مكتبه الأثرى ، بغرفة المكتب الداخلية .

فقال هولمز : انى زرته فى غرفة المكتب .

- أحقا ؟ . انك لم تبطىء فى العمل ! . لعل (ادلبرت) العزيز قد وجد نده هذه المرة ، .

ان غرفة المكتب الخارجية هى تلك التى تحتـوى على مجموعات الخزف الصينى فى الدولاب الزجـاجى الكبير القائم بين النافذتين .

أما الغرفة الداخلية فبابها خلف مكتبه ..

وهى غرفة صغيرة يحتفظ فيها باوراقه وأشيائه الخاصة

- الا يخشى اللصوص ؟ .

- ان (ادلبرت) ليس بالجبان الرعديد .. وهو يعرف كيف يحافظ على نفسه .

فهناك جرس كهربائى ضد السطو ليلا .

ثم ماذا يجد اللصوص فى المكتب ، اللهم الا اذا حملوا مجموعات الصينى وذهبوا بها !

فقال (جونسون) بلهجة الخبير المطلع :

- لا فائدة منها .. فان المشترى لا يقبل على هذه المادة التى لا يمكن صهرها ولا عرضها للبيع .

فقال هولمز : هو ذاك ..

الآن يا مس ونتر ، اذا زرتنى هنا فى الخامسة من مساء الغد عرفتك برأيى فى الاجتماع بالآنسة شخصيا .

انى شديد الامتنان لك من أجل هذه المعاونة .

وأرجو ان تطمئنى الى ان موكلى سيعمل بسخاء على .

فهتفت الشابة من فورها :

لا تقل هذا يا مستر هولمز ! فعندى الكفاية من النقود .

ان اكبر مكافأة لى هى ان ارى هذا الرجل ملقى بين الاوحال وانا ادوس وجهه بقدمى !

هذه هى مكافأتى وهى عزائى وسلوتى ! .

وساعود اليك غدا أو أى يوم شئت ، مادمت فى اثره .

قابلت هولمز فى اليوم التالى وتناولنا العشاء فى مطعم (ستراند) .

ولما سألته عما صادف من حظ وتوفيق فى مقابلته الآنسة فيوليت دى ملفيل ، هز كتفه وراح يسرد قصته قائلا :

لم أجد أقل عناء فى لقائها .. فان هذه الفتاة تتفانى فى الخضوع لوالدها فى كافة المسائل الثانوية ، لكى تكفر عن حقوقها فى صدد الزواج .

وقد ابلغنى الجنرال دى ملفيل تلفونيا ان كل شىء قد

تم كما يجب ، وانضمت الى مس (ونتر) فى الموعد المقرر ، وهكذا لم تنتصف الساعة الخامسة حتى ترجلنا من المركبة أمام أحد دور لندن التاريخية العتيقة فى ميدان (يركلى) ، وأدخلنا غرفة استقبال كبيرة حيث استقبلتنا الفتاة فى تحفظ وفتور ..

وانى لاحار فى وصفها لك ياوطسن الوصف الذى يعطيك صورة صادقة عنها ! ..

لعلك ان تلقاها قبل أن تفرغ من هذه القضية ، فتستغنى ما اعهد فيك من بلاغة وذلاقة فى الوصف والتصوير هى جميلة حقا ..

ولكنه جمال علوى لايمت بسبب الى عالمنا الارضى ، وكأنى بها الى هؤلاء الشهداء المتعلقين **بغير هذه الدنيا** ..

وما اخالنى رأيت مثل صورتها الا فيما ابدع فنانوا العصور الوسطى من روائع فنونهم الخالدة ! .

وما كنت لاستطيع قط أن اتصور كيف تسنى لهذا الوحش ان ينشب مخالبه فى مثل هذا الكائن الاخروى الا ان يكون من قبيل اجتماع الاضداد وائتلاف المتناقضات كانجذاب الكائن الروحانى للمخلوق الحيوانى ، وتعلق الانسان بالملك السماوى !

ولعل هذا المثل الحاضر هو اسوأ ما رأيت من هذا القبيل .

ورأيناها تعرف الغاية من قدومنا طبعا .. فان هـــذا الشقى لم يضيع دقيقة فى تسميم افكارها ضدنا سلفا ..

واذا كان حضور (مس ونتر) قد ادهشها الى حد ما ، فانها مع ذلك أشارت الينا بالجلوس فى ايماءة رئيسة الدير المطهرة التى تستقبل بعض المتسولين الملتاثين ..

وقال لى فى نبرات صوت كأنه ريح تهب من جبل جليدى: « حسنا يا سيدى » ..

ان اسمك معروف لدى .. وقد فهمت انك ما جئت الا لكى تنال من قدر خطيبى البارون جرونر ، والواقـــع انى لم أوافق على استقبالك الا امتثالا لمشورة والدى ، واحـــذر سلفا بانك مهما قلت فلن يكون لكلامك اقل تأثير فى نفسى»

والحق ياوطسن انى ألمت اشد الالم لهذه الفتاة .. وكان شعورى حيالها فى تلك اللحظة شعور الاب نحو ابنتـــه وأنا شخص لم أوهب فصاحة اللسان وبلاغة التعبير ، فانى أعمل بعقلى لا بقلبى ولكنى رحت أجادلها متوســـلا بكل ما أوتيت من حرارة وقوة وجعلت أصور لها بشاعة موقف المرأة التى لا تطلع على اخلاق الرجل الا وقد وصارت لـــه زوجة ، المرأة التى يتعين عليها بحكم هـــذه الرابطة أن تستسلم لمداعبات يدين سفاكتين وقبلات شفتين موبوءتين .

أجل .. لم اقتصد فى تصوير ما سوف يحل من عار وخزى وخوف وفزع ، والم وعذاب ، ويأس وقنوط ! .

فما كانت عباراتى الحارة وكلماتى المؤثرة لتحرك ذرة من دم الحياء ولخجل فى وجنتيها العاجيبتين ولا تضـــرم بريق تاثر وانفعال فى عينيها السابحين الهائمتين ..

وخيل الى لفرط ما نفث فيها ذلك الشقى من ايحائه انما تحيا فى عالم من الأحلام غير عالمنا المادى المجسم ، وان كانت رغم ذلك لم تفتقر فى جوابها الى العزم والتصميم ، اذ قالت لى :

« انى استمعت اليك فى صبر وحلم يا مستر هولمز .. ولكون النتيجة كما توقعت وقدرت .. فانا أعلم أن خطيبى (أدلبرت) له ماض صاخب واستوجب فيه عداوات مريرة واحقادا ظالمة ..

ولن تكون الا واحدا من كثيرين لم يتورعوا عن مطالعتى بوشاياتهم ومفترياتهم ، وقد يشح انك تقصد الخير فى مساعيك هذه التى جئت بها وان كنت أعلم انك بوليس سرى مأجور قد كان يحتمل أن يعمل لحساب البارون كما يعمل الآن ضده ..

ولكن مهما يكن من أمر ، فاحب أن تفهم قطعا انى أحبه وهو يحبنى وان رأى العالم بأسره لا يعنينا فى كثير ولا قليل ..

واذا صح أن روحه النبيلة قد هوت مرة ، فلعلى أن اكون بعثت لرفعها الى عليائها والتسامى بها الى عالمها المطهر النقى ..

ثم التفتت الى رفيقتى وأردف :

(من تكون هذه السيدة الشابة) ؟

وما كدت أهم بالجواب حتى برزت مس ونتر كالعاصفه، فوثبت قائمة من مقعدها وكأنى بها فى تلك اللحظة شعلة من لهب ازاء كتلة من جليد ، وهتفت قائلة وقد اشـــتد انفعالها : سأخبرك من أنا !! أنا آخر عشيقاته !! أنا واحدة من عشرات أغواهن ، واغتصبهن ، وحطمهن ، ثـم ألقى بهن فى التراب ، كما هو فاعل حتما بك أنت ! ولعل التراب الذى سيلقى بك فيه يكون قبرك ومثواك الاخير ، ولو فعل لكان خيرا لك !

اعلمى ايتها المغفلة انك ان تزوجت هذا الرجل جلب على رأسك الشؤم والدمار !؟ .. وقد تكون نهايتك معه قلبا محطما أو عنقا مقطوعا ولكنه سيقضى عليك ويهلكك على هذا الوجه أو ذاك ولا تحسبينى أحدثك فى هذا حبا لك ومودة ، فليس يعنينى فى شىء أحييت أم لقيت حتفك . ولكنه حقدى عليه وكراهيتى له ، وكيدى له وشماتتى به واقتصاصى مما فعل بى من اجرام . الا فلتخففى من غوائلك يا سيدتى النبيلة الكريمة ولا تنظرى الى هذه النظرات ، فعما قريب سيكون حالك شرا من حالى ، ومصيرك أسوأ واحط من مصيرى .

ـ فقالت الآنسة (دى ملفيل بكل برود : أفضل الا أتناق
معك فى هذه المسائل . وأنا أعلم أن خطيبى قد تورط ثلا
مرات فى حوادث نسائية مع طامعات نفعيات ، ولكن
واثقة من صدق ندمه على ما فعل معهن أو أساء اليهن .

فصاحت مس ونتر :

ـ ثلاث حوادث ؟ ! يا مغفلة ، .

يا أكبر مغفلة فى الدنيا ! .

فقالت الآنسة دى ملفيل ببرودها اللازع :

ـ أرجو يا مستر هولمز أن تضع حدا لهذه المقابلة . انن
لبيت رغبة والدى فى الاجتماع بك ، ولكنى غير ملزم
بالاستماع الى هذر هذه المخلوقة ..

وما كادت مس ونتر تسمع هذا الكلام حتى اندفعت نحو
صاخبة لاعنة ، ولولا انى قبضت على يدها لأنشبت يدي
فى شعر هذه الفتاة الغريبة التى يثير برودها أشد الغيظ .

وقد بذلت جهدى حتى جذبتها الى الخارج وأعدتها ال
المركبة التى كانت تنتظرنا وهى فى أشد حالات الهيا
والجنون ..

والواقع أنى أنا قد سخطت من برود هذه الفتاة واستخفاف
بالمجهود الذى نبذله لانقاذها ..

وها أنت ذا يا وطسن وقفت على آخر التطورات فى القضية ، ومن الجلى الآن انه لابد من تدبير خطة جديدة للعمل بعد أن ظهر أن هذه الخطة لم تفلح ..

وساظل يأوطسن على اتصال بك ، فاننى سأحتاج الى معونتك فيما ارجع ، وأن الخطوة التالية ستكون من جانبهم أكثر مما هى من جانبنا ..

صدق شرلوك هولمز فى تقديره . وكانت الخطوة التالية من جانب خصومنا . ووقعت ضربتهم حقـا .

وللقارىء أن يتصور مبلغ ارتياعى وهلعى حين وقع نظرى على عناوين الصحف المسائية بعد يومين من لقائى الأخير مع هولمز .

فبينما كنت قرب محطة (تشيرنج كروس) اذ لمحت العنوان التالى منشورا بحروف كبيرة فى رؤوس الصحف المرصوصة عند أحد الباعة :

« اعتداء خطير على شرلوك هولمز »

والحق انى وقفت فى مكانى برهة مشدوها ..

ولم أفطن الا وقد خطفت احدى الصحف غير مبـال باحتجاج البائع الذى لم انقده الثمن أول الأمر ، حتى اذا تمالكت وقفت أمام صيدلية ورحت أقرأ الخبر التالى :

« علمنا والاسف يملأ نفوسنا أن مستر شـرلوك هـولم
البوليس انسرى الذائع الصيت كان ضحية حادث عدوانى
قد وقع له صباح اليوم وتركه فى حالة خطيرة ·

« ومع أن التفصيلات الدقيقة للحادث لم تبلغنا بعد
فالمفهوم انه وقع حوالى الظهر بشارع (ريجنت) خار
قهوة (روبال) ·

اذ أعتدى رجلان مسلحان بالعصى على مسـتر هول
فأصاباه بضربات شديدة فى الرأس والجسد وأحـدثا ب
اصابات يقرر الأطباء أنها فى منتهى الخطورة ·

وقد نقل المعتدى عليه اول الأمر الى المستشفى ·
ولكنه أمر بعد ذلك على نقله الى مسكنه بشارع (بيكر

« وقد اتضح ان الجانيينى كانا يلبسان الملابس الفخمة
وقد تمكنا من الافلات من أيدى الجمهور بالالتجاء الى قهو
(رويال) والهروب من بابها الآخر المطل على شارع (جلا
هاوس) ·

ولا شك أن الفاعلين ينتميان الى الهيئات الاجرامية التى
كان نشاط المعتدى عليه وعبقريته يثيران مضايقتها » ·

« ★ »

والحق انى ما كدت أقرأ هذا الخبر الصاعق حتى وثب
الى أول مركبة صادفتها فى طريقى ووجهتى شارع (بيكر

وهناك وجدت الجراح الكبير السير (لسلى او كشوت) ينتظر فى البهو وقال ردا على اسئلتى :

- لا خطورة على حياته ..

فهو مصـــاب بجرحين سطحيين فى الرأس ورضوض شديدة .

وقد اضطررنا لخياطة أكثر الجروح واعطيناه بعض حقن « المورفين » ، وكل مايجب له هو الهدوء ، وان كنت لا امانع فى السماح لك بمقابلته بضع دقائق ..

فلما ظفرت بهذا الأذن تسللت الى المخدع المظلم على اطراف أصابعى ..

وقد وجدت صديقى مستيقظا وسمعته يلفظ اسمى همسا فى صوت أجش .. وكان ينفذ الى الغرفة من خلال النافذة شعاع شمسى قليل رأيت فيه الرأس المعصب وقد خصب الدم بعض ضماداته فلم أملك الا أن أجلس بجانبه صامتاً مطرقا .

واذا هولمز يغمغم فى صوت شديد الضعف :

لا تنزعج ياوطسن .. أنا بخير . ليست المســـألة من الخطورة كما يبدو .

- الحمد لله على ذلك !

- أنا خبير فى ضربات العصى كما تعلم ، وقد تلقيت معظم الضربات فى غير مقتل .. انه لم يفاجئنى ســوى المعتدى الثانى .

ـ ماالذى يجب أن أفعله ياهولمز ؟

لا شك أن ذلك الرجل الشيطان اللعين هو الذى حرضهما عليك اننى على اتم الاستعداد للذهاب اليه وسلخ جلده باشارة منك .

ـ ما اظرفك يا عزيزى وطسون !

الواقع اننا لا نقدر على شىء الا اذا تمكن البوليس من اعتقال الفاعلين ، وهو مالن يكون ، بعد ان دبر افلاتهما تدبيرا محكما .. فصبرا قليلا .

ان عندى خطتى الخاصة .. واول ما أريد منك هو أن تذيع ان جروحى أشد خطورة مما هى فعلا وكلما سالك الناس عنى أوهمهم أنى لن أعيش أكثر من اسبوع ، وانى فقدت رشدى ، وانى فى غيبوبة الحمى والهذيان و .. الخ . الخ .

ـ لكن هناك السير (لسلى أو كشوت) الذى يعـرف حقيقة حالتك .

ـ لا بأس من ناحيته .. فانه لن يرى الا أسوأ الجوانب فى حالتى وسأتكفل بهذا .

ـ تعليمات أخـــرى ؟

ـ نعم .. امنع « شنويل جونسون » ان يبعد الفتـاة « ونتر » ويخفيها عن العيان فان هؤلاء الأشقياء سيجدون

فى اثرها ولا ريب بعد ان تحققوا انها ساعدتنى . وما داموا قد تجاسروا على ايذائى فانهم لن يتركوها .

هذا أهم ما أريده منك الآن .. وعليك ان تقوم به هذه الليلة .

ـ سأذهب الآن فهل من شىء آخر ؟

ـ ضع غليونى على المائدة .. وكيس التبغ أيضا .. حسنا زرنى يوميا فى الصباح ، وسنضع معا خطة الهجوم .

« ★ »

وفى هذه الليلة وضعت مع جونسون الترتيبات اللازمة التى نقلت بمقتضاها مس ونتر الى احدى الضواحى الهادئة حيث تبقى فيها مختفية حتى يزول الخطر ؟

وانقضت ستة أيام لبث الجمهور فى خلالها موقنا ان شرلوك هولمز على حافة القبر .

فقد كانت النشرات الصادرة عن حالته الصحية تنذر بخطورة الموقف ، وجعلت الصحف تطالع قراءها بانباء سيئة متفاقمة .

ذلك وان كانت زيارتى المتوالية له قد اقنعتنى بعكس ذلك تماما .. فان قوته الجسدية الموفورة وارادته الغلابة واعصابه الفولاذية قد فعلت المعجزات وتقدمت به فى طريق الشفاء المطرد حتى كان يبدو لى أحيانا أنه يمضى الى الشـــفاء باسرع مما يريد ويقدر لنفسه .

وفى اليوم السابع ازيلت خياطة الجـــروح ، وان كانت الصحف طلعت اعلى قرائها فى المساء بأسوأ الأنباء عن حالته الصحيــة ..

وقد تضمنت الصحف ، فوق هذا ، نبأ لم أجد بدا من ابلاغه الى هولمز مهما كان حاله فقد أذيع ان بين المسافرين على ظهر الباخرة (روريتانيا) التى ستبحر من (ليفربول) يوم الجمعة القـــادم ، البارون (ادليرت جرونر) الذى سيقصد الى الولايات المتحدة لانجاز مسائل مالية هامة قبيل زواجه الوشيك بالآنسة (فيوليت دى مافيل) كريمة ... الى آخر هذه البيانات المعروفة .

وقد استمع هولمز الى هذا النبأ فى برود واستغراق فى التفكير مما دلنى على أن النبأ قد مس من نفسه وترا حساسا .. والواقع أنه هتف قائلا :

ـ يوم الجمعة ! .. لم يبق الا ثلاثة أيام اذن ! .

وأغلب الظن أن الشقى يريد أن يجعل نفسه بمأمن من الخطر .. لكنه لن يوفق الى ما يريد !

أقسم لن يوفق ياوطسن ! .

والآن أعرنى سمعك .. أريد أن تقوم بدور معين .

ـ أنا هنا رهن اشارتك يا هولمز .

ـ حسنا .. اذن عليك أن تقضى الأربع والعشرين ساعة القادمة فى دراسة موضوع الخزف والصينى ..

لم يزدني هولمز بيانا . ولم اطلب منه مزيدا .

فقد علمني طول التجربة والمران أن خير عمل هو الطاعة والصمت وما أن خرجت الى عرض الطـــريق حتى رحت اعتصر فكرى لعلى آهتدى الى الوسيلة التى أحقق بها هـذا الطلب الفريد ! . وقد هدانى اتفكير أخيرا الى الالتجاء الى مكتبة لندن بميدان (سانت جيمس) حيث وجــــدت من صديقى (لوماكس) أمين المكتبة خير معين لى فى هــــذه الورطة العجيبة ، ثم ارتحلت من عنده عائدا الى دارى وقد تأبطت مجلدا ضخما ..

والحق انى قضيت ليلتى هـــذه ونهارى عاكفــــا على المجلد احفظ عن ظهر قلب عشرات المسائل الفنية ومئـــات الاسماء الصينية الغربية . وفى المساء قصدت الى هولمز وقد امتلأ رأسى بما حشوته من المحفوظات ، فاذا هو قـد غادر الفراش .

- وان كانت الصحف طالعت قراءها بعكس ذلك .

وجلس فى مقعده الوثير مسندا راسه المصعب الى يده .

وقد بادرته قائلا : عجبا لك يا هولمز . !

لو صدق الانسان اقوال الصحف ، لكنت الآن تلفظ انفاسك الاخيـــرة .

فقال هولمز :

ـ وهذا هو عين ما قصدته ، وما عملت على ان يستقر فى الاذهان والان ياوطسن هل حفظت دروسك ؟ !

ـ مهما يكن فانى بذلت جهدى لحفظها .

ـ بديع .. وبامكانك أن تدخل فى مناقشة مفيـــدة فى الموضوع

ـ اعتقد ان هذا بامكانى .

ـ ناولنى اذن هذه العلبة الصغيرة الموضوعة على الرف ،

وفتح هولمز العلبة التى ناولته اياها ، فأخرج منها شيئا ملفوفا فى غلاف حريرى ثمين ، ولما نزع الغلاف اخذ من بين طياته (طبقا) صغيرا دقيقا من خزف ازرق جميل وقال :

ـ على الانسان ان يعنى كل العناية فى امساك هذا الطبق ياوطسن فهو من اثمن انواع الخزف الصينى الذى خلفتـــه اسرة (مينج) ومجموعة كاملة من نوعه تقدر بثروة طائلة ، ولا اغالى اذا قلت انه لا توجد مجموعة منه خـــــارج قصر امبراطور الصين فى (بكين) ولو رآه خبير به عارف بقيمته لجن شغفا به ..

ـ وماذا افعل به ؟ ..

فقدم الى هولمز بطاقة طبع عليها اسم : « الدكتـور هيل بارتون ٣٦٩ شارع هافمون » .

وقال لى : هذا هو اسمك هذه الليلة وستزور به البارون جرونر اننى اعرف بعض اساليب معيشته ، والمرجـح انه سيكون خاليا من المشاغل فى منتصف الساعة التاسعة ..

وسيتلقى البارون منك سلفا رسالة تبلغه نبـا زيارتك ، وستقول له انك جئته بقطعة من نفس الخـزف الذى كانت تملكه اسرة (مينج) الصينية .

ولا بأس ايضا ان تكون من الاطباء ، فان هذا دور تستطيع ان تمثله فى غير تكلف ....

وانت فى هذا الدور من هواة التحف الخزفية ، وقد وقعت فى يدك هذه القطعة النادرة ، ونظـرا لما انتهى اليك من اهتمام البارون بالموضوع فقد جئت تعرض عليه شراءها .

ـ وبأى ثمن ؟

ـ سؤال جميل ياوطسن .. فان مركزك يكون حـرجا بلاشك اذ لم تعرف قيمة البضاعة التى تعرضها ..

ان هذا (الطبق) قد جاءنى به السير جيمس ، والمفهوم انه استعارة من مجموعة موكله الكبير .. ولن تكون مبالغـا اذا ذكرت لسائلك انه منقطع النظير فى العالم .

ـ يمكن ان اقترح تثمينه على يد خبير .

ـ مدهش ياوطسن .. انت اليوم تتوقد نباهة .. يمكنك

ان تذكر الخبير كريستى او سوثبى .. فان امانتك تحول دون تقديرك الثمن بنفسك .

ـ لكن البارون قد يرفض استقبالى ..

ـ بل سيستقبلك حتما .. فهو مصاب بجنـــون الهواة ، ولاسيما فى هذا النوع الذى يعتبر حجة فيـــه .. اجلس ياوطسن واكتب الرسالة التى امليها عليك .. ولا حاجة بك الى طلب الرد .. بل تذكر انك ستزور البـــارون وتبين السبب ..

وكانت رسالة بديعة حقا ، صيغت فى ايجاز و دب وكانت جديرة بأن تضرم نار الشوق فى صدر الهاوى الخبير ..

وما ان حل المساء حتى وليت وجهى شطر مقر البـــارون جرونر للقيام بمغامرتى وفى جيبى « الطبـــق » الثمين وبطاقة الدكتور هيل بارتون .

الفيت قصر البارون جرونر يدل على الثراء العريض . فقد افضيت اليه من مر طويل صفت على جانبيه الاشجار النادره ، وانتهى بى الى ساحة مكسوة بالحصى مزدانه بالتماثيل .. فاذا القصر آية فى الروعة والفخامة ، وان كان بنيانه عتيق الطراز ..

واستقبلنى رئيس الخدم فى ملابس باهته فاسلمنى الى وصيف انيق داخلنى بدوره الى حضرة البارون .

وقد رأيت البارون واقفا أمام دولاب ضخم مفتوح قائـــم بين النوافذ ، يحتوى على قسم من مجموعته الصينية ..

واعتدل حال دخولى فاذا بيده أناء صغير داكن وبادرنى قائلا :

- تفضل بالجلوس يادكتور .. انى كنت اتفقد مقتنيـاتى وأسائل نفسى ان كان بوسعى أن أضيف اليها شيئا جديدا ..

أن هذه القطعة التى يرجع تاريخها الى القرن السابع قد تروقك وتثير اهتماماتك .. وأراهن أنك لم تشاهد مثلها فى دقة الصنع ونفاسة الجوهر . هل جئت معــك (بالطبق) الذى يرجع تاريخه الى الامبراطور « مينج » كما قلت فى رسالتك ؟ ..

فأخرجت (الطبق) من لفافاته وقدمته اليـه .. فجلس الى مكتبه وأضاء المصباح وأخذ فى فحصه بينما رحت أتفرس فى ملامح وجهه الذى سطع عليها الضوء ..

كان وسيما مليحا حقا .. ولم يبالغ من وصفه بالجمـال وحسن التكوين ..

ولعل أروع ما فيه هو محياه الاسمر ذو العينين السوداوين المتسلطتين على قلوب النساء ، وشعره الفاحم السواد وشاربه القصير ..

ولكن عنصر التنافر كان فى فمه الرقيق الشفتين ، الذى

ينم تكوينه وأطباقه على القسوة الرهيبة والصرامة المتناهية وغدر القاتل السفاك .

أما صوته فكان عذب النبرات رخيم المقاطع حلو الرنين .. ولم تكن هيئته فى جمالها لتجاوز حدود الثلاثين الا قليلا ، وان كان عمره الحقيقى يزيد على الاربعين ، كما ظهر فيما بعد .

وقال لى أخيرا : انه لبديع حقا ! . بل آية فى الابداع ! . وأنت تقول ان عندك مجموعة من ست قطع منه ! .

ان ما يحيرنى هو أنى لم اسمع من قبل بوجود مثل هذه المجموعة ! . فقد انتهى الى ان فى انجلترا بأسرها مجموعة واحدة تضارع هذه القطعة ، ومن المحقق انها لا تعرض فى السوق ..

فهل من الممكن يا دكتور هيل بارتون ، ان اسألك من أين حصلت عليها ؟ .

فقلت وانا أتكلف عدم الاكتراث :

- وهل يهمك الجواب ؟ .

انك ترى ان القطعة حقيقية .

وفيما يختص بقيمتها ، فانى أدع هذه لكلمة خير .. فقال وقد لمعت عيناه ارتيابا :

- هذا كلام غامض .. فمن الجوهرى حين يعرض الانسان مثل هذه الأشياء القيمة ، أن يعرف كل ما يتصل بها ..

والواقع أننى لا أشك قط فى أنها قطعة حقيقية ..

لكن لنفرض أنه تبين فيما بعد انك لم تكن صاحب الحق فى بيعها ؟

- أنا على استعداد لتزويدك بــكافة الضمانات التى تريدها .

ان البنك الذى أعامله سيتكفل بالجواب .

- لا بأس .. ومع ذلك ، فان الصفقة فى اجمالها تبدو لى غير طبيعية .

فقلت له بغير مبالاة : لك أن تتمها أولا تتمها .. انى تقدمت اليك بالعرض الاول بعد ان عامت أنك من الخبراء فى هذه الشئون ولكننى لن أجد صعوبة فى عرضــها على جهات أخــرى .

- ومن قال لك انى من الخبراء ؟ .

- علمت أنك الفت كتابا فى الموضوع .

- هل قرأته ؟ . - كلا .

- ان المسألة تزيد تعقيدا فى نظرى ! . فأنت من الهواة ومعك مجموعة من أنفس ما وجد ، ومــع ذلك لا تهتم بالاطلاع على الكتاب الوحيد الذى يبين لك القيمة الحقيقية لمــا فى حيازتك ! .

فكيف تفسر هذا ؟ .

– أنا رجل كثير المشاغل .. وأنا طبيب محترف ..

– ليس هذا بجواب ؟. فان صـــاحب الهـــواة يواليه ويتعهدها مهما تكن مشاغله الأخرى ! فقد قلت فى رسالتك أنك من الخبراء .

– أنا كذلك فعـــلا .

– أيمكن أن ألقى عليك بضعة أسئلة للاختبار ؟ . لا مفر لى أن أقول لك يا دكتور – أن كنت من الاطباء حقا – ان الموضوع يزيدنى ارتيابا ! :

ما هى معلوماتك عن الامبراطور (شومو) وما صـلته بالأمبراطور « شوسو » ؟ . عجبا ! . ايحيرك هذا السؤال؟.

اخبرنى شيئا عن اسرة « وى » الملكية وعن مكانتها فى تاريخ الخزف .

عند ذلك وثبت من مكانى غضبا وقلت له : هذا شىء لا يطاق يا سيدى ! انى جئت الى هنا لكى اسدى اليك خدمة ، ولم اجىء لكى تمتحننى كأننى تلميذ !

ان علمى فى هذا الموضوع قد لا يفوته الا علمك ! ولكنى لن اجيب على اسئلة صيغت بمثل هذا الأسلوب الاستفزازى!.

فجعل البارون يرمقنى بنظراته مليا وفجأة لمعت عيناه ، وانفرجت شفتاه الرقيقتان القاسيتان عن هذه الكلمات .

– ما هى اللعبة التى تلعبها ؟ .

انت هنا جاسوس ! .

انت رسول هولمز ! .

انك تمثل هورا يراد به خداعى !

ان صاحبك فى دور الاحتضار ، وهو لذلك يرسل اذنابه للتجسس على ! .

انك جئت الى هنا بغير اذن ، ولن يكون خروجك والله باسهل مما دخلت !!

ووثب قائما .. فتراجعت امامه وانا اتوقع الهجوم بين لحظة واخرى بعد ان تبينت هياجه .. وهو ان كان قد ارتاب فأول الأمر فان المتجوابة لى قد حقق ظنونه . وبدا لى ان أوفق بعد الآن فى خداعه والتمويه عليه ..

ورأيته يدس يده فى أحد الادراج منقبا فى عنف واهتياج

ثم وصل الى سمعه صوت لم اسمعه اذ وقف برهة منصتا ، وما لبث أن هتف: — يالله .

واندفع الى الغرفة الداخلية ..

اقتفيت اثره بسرعة البرق .. فما أن بلغت باب الغرفة حتى وقع نظرى على مشهد لن يبرح مخيلتى ماعشت كانت نافذة الغرفة الداخلية المطلة على الحديقة مفتوحة ..

ورأيت امامها هيكلا معصب الرأس بالضمادات المخضبة بالدم ، ممتقع الوجه ، كانه شبح رهيب مفزع ! .

كان الشبح هو شرلوك هولمز ! .

وان هى الا لحظة حتى رأيته يثب من النافذة ، وسمعت على الاثر صوت اصطدام جسمه بالشجيرات أسفل النافذة.

وفى نفس اللحظة انقض رب الدار فى أثره من النافذة المفتوحة وهو يصرخ غضبا واهتياجا .

ويالهول ما حدث على الأثر ! .

« ★ »

لمحت فى مثل ومض البصر ، ذراع امرأة ينطلق من بين الأغصان وسمعت البارون يصرخ صرخة مرعبة أليمة . صرخة لن يزول صداها ذاكرتى ! .

ورأيته يطبق يديه على وجهه .. ويدور فى انحاء الغرفة كالمجنون فيصطدم رأسه بالجدران اصطداما مروعا..

ومالبث ان اهوى على الأرض وهو يدور على نفسه ويتلوى، وصراخه يتجاوب فى انحاء القصر .

وكان يصيح : ماء ! اعطونى ماء بربكم ! ..

فتناولت اناء ماء من فوق خوان قريب وهرعت الى جانبه فى الوقت الذى هرول الينا رئيس الخدم ونفر من رجاله ..

واذكر أن أحد الخدم أغمى عليه حين ركعت بجانب البارون المصاب وأدرت وجهه المخيف فى ضوء المصباح ..

فقد كان المحلول الحمضى الذى قذفته به المرأة المجهولة يأكل أديم وجهه أكلا ويتساقط من الأذنين الى الذقن ٠

ورأيت احدى عينيه وقد ابيضت وجمدت عن كل حركة٠٠

والعين الثانية قد احمرت والتهبت أى التهاب ٠٠ أما قسمات الوجه الوسيم التى كانت مبعث اعجابى منذ برهة ، فقد انطمست ومسخت وشوهت تشويها ، وفارقتها سحنة الآدميين ، واستحالت الى شىء بشع فظيع شيطانى ٠٠

شرحت للموجودين فى ايجـاز ما رأيت من حادث الاعتداء بالحامض وسرعان ماوثب بعضهم من النافذة خلف المعتدية ، وهرع آخرون الى الخارج ، بيد أن الظلام كان قد أرخى سدوله ، وبدأ المطر ينهمر ٠٠

وكان البارون يصرخ ويقول مهتاجا ٠

ـ انها تلك لذئبة (كبتى ونتر) آه ٠٠ ستدفع الثمن غاليا ٠٠ ستنال جزاء فعلتها ٠٠ رحمـــاك يا ابى ٠٠ ان هذا الألم لا يطاق ٠٠

فبللت وجهه بالزيت وكسوت الجـــروح الحيه بالقطن وأعطيته حقنة من المورفين ٠٠

أما هو فقد ازالت هذه الصدمة كل ما يساوره من شــك نحوى وتشبث بى مستسلما وكأنما أوتيت القدرة على شفائه مما نزل به ٠٠

والواقع أنه كان فى حالة محزنة تثير الأسى وتستنزف الدمع ، حتى كدت أبكى رثاء له ، وتفجعا لمصابه ، لو لم أضع نصب عينى شروره وآثامه التى أفضت به الى هذا البلاء المستطير ..

ولقد تنفست الصعداء حقا حين جاء طبيبه الخاص يصحبه جراح أخصائى ، فخلصانى من مهمتى الثقيلة .

وجاء على أثرهما أحد مفتشى البوليس ، فقدمت اليه بطاقتى الحقيقة ، اذا كان من العبث بل من الغفلة أن افعل غير هذا وأنا معروف تماما لدى ادارة بوليس (سكوتلانديارد) مثل شرلوك هولمز نفسه وكذلك غادرت هذا البيت الذى ألمت بساحته المحن والمصائب وأسرعت من فورى الى شارع (بيكر) .



وجدت شرلوك هولمز جالسا فى مقعده المعهود شديد شحوب الوجه بادى الاعياء متوتر الاعصاب ، وهو الذى لا يتأثر بالتطورات الأخيرة .. وقد أنصت فى جزء عظيم لما قصصت عليه من محنة البارون ، فعقب قائلا : هذا ثمن الخطيئة ياوطسن ! .بل جزاء الذنوب والآثام ! . وهو جزاء لاحق بالانسان ولو بعد حين .

ثم تناول مجلدا أسمر اللون كان فوق المائدة ، وأردف قائلا :

- اليك المجلد الذى حدثتنا عنه المرأة .. واذا لم يكف
هذا لاحباط الزواج ، فما من شىء آخر فى الدنيا يحبطه
لكنه سيؤدى الى الغاية المرجوة منه ياوطمس وسيمنع الزواج ،
فما من أمرأة تحترم نفسها تستطيع احتماله ! .

- أهو سجل غرامياته ؟ .

- بل قل سجل شهوته ! ..

والواقع أن المرأة الشابة لم تكد تذكر لنا أمره حتى أيقنت
من فائدته الكبرى كسلاح ثمين فى ايدينا ، اذا استأثرنا به
ولم أشر بشىء فى تلك اللحظة الى اتجـــاه تفكيرى حتى
لا يزال لسان المرأة فتفسد علينا أمرنا .. ولكن جعلت موضوعه
محور تفكيرى وأساس خطتى .

فلما وقع على حادث الاعتداء وجدت فيه فرصة مواتية
لاستغفال البارون وايهامه بأنه فى مأمن من ناحيتى ..
وكنت أنوى التريث قليلا قبل البدء فى العمل ، لولا أن رحلته
الوشيكة الى أمريكا قد حملتنى على المبادرة ، لأنه ما كان
يمكن أن يترك مثل هذه الوثيقه الدامغة خلفه .

وقد استعرضت الخطط التى امامى .. فاذا السطو على
داره ليلا من قبيل المستحيل لفرط حذره واحتياطه .
ولكن فرصة التسلل متاحة فى المساء اذ شاغلته بما يستغرق
عنايته ويحول اهتمامه .. وهكذا حددت لك الدور الذى

عهدت اليك بتمثيله ، وان كان يتعين على أن أتم مهمتى فى البحث عن مكان المجلد واستخلاصه فى فترة وجيزة محدودة بحدود علمك بالفنون الخزفية الصينية وتبحرك فى أسرارها

ولهذا استقدمت مس وننر فى آخر لحظة .. ولم يكن لدى من الوقت ماأبحث فيه أمر هذه اللفافة الصغيرة التى جاءت تحملها فى عناية كبيرة تحت معطفها ..

لقد كنت أقدر انها جاءت لاتمام مهمتى ، وحدها ، فاذا بها جاءت أيضا لكى تعمل لحسابها ! .

- انه فطن الى أنى جئت من قبلك .

- ذلك ما كنت أخشاه وأتوقعه .. لكنك استطعت ان تشاغله الفترة الكافية لحصولى على المجلد ، ولكن لم تمتد فترة المشاغلة حتى يتيسر بى الافلات دون أن ينتبه الى الحقيقة .

آه ؟ هذا هو السير جيمس . يسرنى حضورك الآن .

والواقع ان السير (جيمس دامرى) جاء بنا على طلب من هولمز ..

وقد راح يستمع فى اهتمام عميق الى حديث هولمز وتفسيره لكل ماتم . حتى اذا فرغ صديقى من قصته هتف الزائر قائـلا :

لقد فعلت المعجزات .. أنها المعجزات حقا .

لكن اذا كانت اصابات البارون بهذا الوصف البشع الذى ذكره الدكتور وطسن ، فاننا ولا ريب بالغون غايتنا من احباط الزواج دون حاجة الى استخدام المجلد الداعر ..

فهز هولمز رأسه قائلا : ان المرأة التى من طراز الآنسة (دى مرفيل) لا تفعل هذا .. فانها لتزيد له حبا كشهيد معذب ضحية العدوان والتشويه ..

لا . لا أن غايتنا هى القضاء عليه أدبيا ، لا جسمانيا .

أن هذا المجلد سيهبط باحلامها الى الارض .. وما من شىء غيره يفتح عينيها على الحقيقة ، فهو بخط يده ، ولا سبيل الى انكاره .

وانصرف السير جيمس يحمل المجلد و (الطبق) الصينى الثمين .

ولما كنت متعبا مكدودا فقد انصرفت معه فاذا مركبة فخمة تنتظره واذا هو يثب الى داخلها ويأمر السائق على عجل بالرحيل واذا المركبة تسير به مسرعة وهو يرفع عباءته فوق زجاج النافذة لكى يخفى عن عينى « الشعار السامى » الذى رسم فوقه والذى لمحته رغم ذلك من خلال ضوء نافذة هولمز .. فلم أتمالك أن تلاحقت انفاسى دهشة ، وهرولت عائدا الى صديقى وهتفت احمل اليه النبأ الخطير :

— لقد عرفت من هو موكلنا الخطير .. انه كبير ؟

فاستوقفنى هولمز قائلا .

— أنه صديق كريم وشهم نبيل . فليكن فى هذا ما يكفى للتعريف به حالا ومستقبلا ..

« ★ »

لم أعرف على وجه اليقين كيف تم استخدام المجلد ولا أن كان السير « جيمس دامرى » هو الذى عرضه على الآنسة « فيوليت » أو هو والدها الذى اضطلع بهذه المهمة الدقيقة..

ولكن سواء كان هذا أو ذلك ، فقد جاءت النتيجة وفاقا لكل مانحب وما نشتهى ..

اذ لم تمض ثلاثة أيام حتى نشرت جريدة «المرننج بوست» نبأ عن الغاء زواج البارون « ادلبرت جرونر » بالآنسة فيوليت دى مرفيل » ..

وتضمنت الجريدة فوق هذا تفاصيل محاكمة « كيتى ونتر » عن جريمة القاء السائل الحمضى .

وقد عرضت ملابسات الجريمة مخففة الى أقصى حد حتى صدر الحكم أيسر ما يكون بالقياس الى خطورة التهمة.

وكاد شرلوك هولمز نفسه يقدم للمحاكمة بتهمة السطو .
ولكن حتى كانت الغاية من السرقة محمودة والموكل الأصلى
فى القضية كبير المقـــام فان القانون ، حتى القـــانون
البريطانى الصارم ينحاز الى الرفق والمرونة .

وهكذا لم يمثل شرلوك هولمز حتى الآن أمام أية محكمة!.



بذور البرتقال

كنا فى أواخر شهر سبتمبر قبيل سنة ١٨٩٠ . وكانت الرياح العاصفة تجتاح انجلترا بعنف لم يعرف من قبل وراحت الأمطار الغزيرة تضرب مصاريع النوافذ ، والريح تعول وتزأر ، حتى كادت ونحـــن فى قلب مدينة لنـــدن نحس بالوحشة والرهبة من عناء الطبيعة الثائرة .

فما بالك بمن يعيشون فى العراء والأرض المكشوفة ، أو على صفحة الماء فى سفينة تتقاذفها أمواج كالجبال ؟

وأقبل المساء ، فزادت الرياح عنفا ، وزاد زئيرها علوا وعتوا ، واشتدت غزارة المطر وقوته ، حتى كأن صـفير الهواء فى مدخنة البيت بكاء طفل يبكى ألما من داء خفى لا يدع له راحة .

وجلس شرلوك هولمز واجما - بتأثير الجو طبعا - بجوار النار يرتب الملف الذى جمعه عن الجرائم ، أما أنا فجلست فى مقعدى الوثير أقرأ قصة جيـــدة من روايات المغامرات البحرية ، فكانت حالة الجو من حولى كأنها جزء من الصورة التى أطالعها عن ثوران الأنواء واضطراب العواصف .

وكانت زوجتى لذلك الحين فى زيارة عمـــة لهـا فى

الريف ، فعدت أقضى أيام غيابها فى مسكن العزوبة القديم مع صديق الشباب هولمز فى شارع بيكر .

وفجأة سمعنا جرس الباب ، فشككت فى الأمـر لأول وهلة ، ولكن الطرق تكرر ، فقلت متعجبا :

ـ هذا بابك يطرقه طارق ياهولمز . من ياترى يـكون القادم الليلة ؟ لعله صديق من أصدقائك .

ـ ليس لى فيما عداك أنت صديق يا عزيزى واطسن . فلست ممن يشجعون الناس على زيارتهم .

ـ هو زبون اذن ..

ـ ان كان ذلك ، فهى قضيـــة خطـــيرة اذن . فلولا خطورتها ما جشم صاحبها نفسه مشقة الحضور فى هـذا الجو ، وفى هذه الساعة .. !

وما لبثنا أن سمعنا وقع أقدام تصعد السلم ، ثم تخترق البهو وتطرق بابنا ، فمد هولمز يده الى المصباح وحـوله عن موضعه ، بحيث صار هولمز فى الظل ، وتسلط النور على المقعد الشاغر الذى سيجلس فيه القادم الجديد ، ثم صاح بصوته الواضح الهادىء أن ادخل .

وكان الداخل شابا ، يتراوح عمره بين الثانية والعشرين والرابعة والعشريين ، وذلك على الأكثر ، فى زينة حسنة ، وأناقة تنم عن حسن الذوق والترف وطيب المنبت والمنشاة .

وكانت مظلته ومعطفه الواقى من المطر يقطر ان مـ
غزيرا مما ينبىء عن الجو العاصف الذى قاساه الشاب فى
حضوره الينا .

وازاغ ضوء المصباح القوى عينيه ، فراح يلتفت حوله
فرايت على وجهة شحوب الارتياع ، ونظـرات اللهف
والتوجس .

ثم رفع الشاب منظاره الذهبى ذا السلسلة الى عينيـ
وقال بصوت مهذب :

ـ انى اتقدم اليكما بالاعتذار ، وارجو الا اكون قـد
ازعجتكما بتطفلى على وحدتكما .

ويأسفنى أن أجلب الى داخل البيت آثار العـاصفة
الهوجاء التى تحتميان منها بدفء هذه النار .

فتناول شرلوك هولمز منه المعطف والمظلة ، فوضعهمـا
فوق مشجب بجوار النار وقال له :

ـ تفضل الآن بالجلوس فى هذا المقعد ، وسيجفان عما
قليل . وأراك أتيت من الشمال الغربى .

ـ أجل . من هو رشام . ولكن كيف عرفت ؟ .

ـ ان هذا الطين العالق بمقدم حذائك من الخصائص
المميزة للاقليم الشمالى الغربى من انجلترا !

- نعم . لقد أتيت يا سيدى العزيز لأسألك استشارة خاصة أرجو ألا تضن بها على .

- المشورة سهلة مبذولة .

- ولأسألك المعونة أيضا يا سيدى .

- أما هذه فليست على الدوام من السهولة بمكان !

- لقد سمعت بك يا مستر شرلوك هولمز . سمعت بك من الماجور برندر جاست الذى أنقذته من فضيحة نادى تانكرفيل فيما مضى ..

فهو يشيد بفضلك أيما اشادة .

- طبعا ! فقد كان متهما بالغش فى أوراق اللعب ، وهى تهمة تلوث شرف الرجل الشريف .

انه يؤكد لكل إنسان أنك ي مستر شرلوك هولمز قادر على حل جميع المشاكل .

- هذه مبالغة يا سيدى .. !

- وأنك لا تعرف الهزيمة !

- لقد هزمت أربع مرات ، فى ثلاث منها هزمنى رجال ، وأما المرأة الرابعة فقد هزمتنى فيها أمرأة .

ولكن ما هذه المرات الاربع وما مبلغ قيمتها بالقياس الى مرات نجاحك الباهر وهى لا تحصى ؟

- ولقد كنت موفقا فعلا فى معظم القضـايا التى توليت أمرها فى السنوات الاخيرة .

- اذن من المحتمل ان توفق فى حل قضيتى أيضا .

- كل قضية لها ظروفها الخاصة بها ، فأرجو قبـــل أن تعرف رأيى أن تتفضل بتقريب مقعدك من النار ، ثم تقص على تفاصيل قضيتك بما وسعك من الترتيب والوضـوح ، ولا تغفل شيئا .

- أخشى الا تكون قضيتى كالقضايا العادية .

- يا سيدى العزيز . ما من قضية تأتينى وهى عادية ، فأنا الخطوة الاخيرة للقضايا المعقدة .

- أعرف هذا يا سيدى ومع ذلك فأنى أتساءل ان كان قد مر بك فى جميع تجاربك الكثيرة الماضية مشكلة كمشكلتى مفككة الحلقات ، حافلة بالغاز منذرة بالاخطار ..

- أثرت اشتياقى . فأرجو أن تبدأ فى سرد حـــوادث مسألتك منذ البداية ، ولا تخش أن أمل أو أسأم ، فان أتفه التفاصيل قد تكون ادل على السر الخفى .

- ان اسمى « جون أو بنشو » . والمشـكلة التى فزعت اليك الآن كى تحلها ليست خاصة بى أصـــلا ، وانما هى ميراث فى أسرتى .

ولهذا سأعود القهقرى الى سنوات مضت ، فاذكر لك أولا أنه كان لجدى ولدان ، عمى الياس وابى جوزيف .

وكان لابى مصنع صغير فى كوفنترى ، وسعه وكبره عند اختراع الدراجات ، واظنك سمعت بمصانع أو بنشو للدراجات . وقد نجحت أعماله وازدهرت ، فتمكن من جمع ايراد ضخم .

أما عمى الياس فانه هاجر الى أمريكا فى صدر شبابه ، واشتغل بالزراعة فى فلوريدا ، وصادفه التوفيق فجمع ثروة ضخمة جدا .

فلما نشبت الحرب الاهلية قاتل تحت لواء جاكسون ، ثم هود وارتقى الى رتبة الكولونيل .

فلما رفع الجنرال لى راية التسليم وانتصر جيش الاتحاد ، عاد عمى الياس الى مزارعه ومكث فيها اربع سنوات .

فلما كانت سنة ١٨٧٠ عاد الى اوربا ، واشترى ضيعة صغيرة فى مقاطعة ساكس قرب مدينة هورشام .

كان قد جمع ثروة ضخمة جدا فى الولايات المتحدة ، ولكنه فارق تلك البلاد ساخطا ، لانه كان يكره السود ، ويناهض سياسة الجمهورية فى منحهم الحرية وحقوق المواطنين .

والواقع ان عمى الياس كان رجلا عنيفا عنيـــدا سريع الغضب ، كثير السباب بذىء اللسان اذا ثار ، محبا للعزلة والاعتكاف لا يألف الناس ولا يألفونه .

واعتقد انه لم يضع قدمه فى بلدة هورشام طول السنوات التى قضاها بضيعته قربها .

وكانت حول بيته حديقة كبيرة ، وحقول واسعة ، فكان يتنزه أحيانا فيهـــا .

ولكنه كان يقضى الايام المتعاقبة فى كثير من الاحيـان لا يبرح حجرته الخاصة .

وكان يسرف فى احتساء الخمر ، ويدخن بشراهة ، ولا يقبل زيارة أحد ، ولا يصادق مخلوقا ، حتى أخاه ، أبى

أما أنا شخصيا فكان لا ينفر منى ، بل لا اعدو الواقع اذا قلت انه كان يميل الى ، لاننى لم أكن اتجاوز الثانيـة عشرة من عمرى حين وقعت على انظاره أول مرة .

وكان ذلك سنة ١٨٧٨ ، وكانت له فى ذلك الوقت تسع سنين فى انجلترا تقريبا ، لم يفكر فيها أن يرانا .

فلما رآنى طلب من والدى ، والح فى الرجـــاء ، ان يسمح لى بالمعيشة معه فى الضيعة ، وكان عطوفا جدا فى معاملتى ، على طريقته الخاصة فى العطف طبعا .

فحين يكون مفيقا من الشـــراب ، يداعبنى ويلاعبنى ويضاحكنى .

وكان قد وكل الى تمثيله فى كل ما يتصل بالخـــــدم والتجار الذين يتعامل معهم .

فكلمتى فى تلك الامور قانون نافذ ، وأنا ســيد البيت المطلق ، وفى يدى مفاتيحه ومفاتيح مخازنه وخـــزائنه ، ولى مطلق الحرية ان أذهب حيث أشــــاء واتصرف كيف أشاء ، ما دمت لا اكدر عليه خلوته الى الكأس ولفـــائف الدخـــان .

ولكن كانت هناك حجرة واحدة لا يمتد اليها سلطانى ، وهى احدى حجر السطح الصغيرة التى تستعمل لتخزين الحقائب والاثاث الزائد عن الحاجة .

وكانت هذه الحجرة بالذات موصدة بقفل ضخم يحمل عمى مفتاحه شخصيا .

ولا يسمح لى ولا أى انسان بدخولها .

وقد دفعنى فضولى ذات يوم ان انظر من ثقب الباب ، فلم أر شيئا سوى الصناديق والحقائب العادية .

وفى ذات يوم من أيام شهر مارس سنة ١٨٨٣ وصل الى عمى خطاب يحمل طابع بريد اجنبيا .

ولم يكن عمى يتلقى خطابات كثيرة ، فكان ورود ذلك الخطاب اليه ، ومن الخارج ، شيئا ملفتا للنظر .

فلما تناول الخطاب فى يده قال فى شىء من الدهشة :

من الهند ؟

هذا ختم بريد بوندى شرى ؟

ترى أى شىء هذا ؟ وما مضمونه ؟

ثم فتح المظروف فى لهفة ، فانتثرت منه خمس بذرات جافة من بذور البرتقال .

فغلب على الضحك لهذه النكتة العملية .

ولكن الضحكة لم تلبث أن ماتت فى حلقى حين وقعت عينى على سحنة عمى المقلوبة ، وبصره الزائغ ولونه الممتقع ، وهو يتمتم ناظرا فى المظروف :

- ك . ك . يا الهى ! لقد حاق بى سوء عملى !

فسألته فى خوف ودهشة :

- ما هذا يا عمى ؟ .. ما هذا .. ؟

- انه الموت ! .. انه الموت .. !

ثم نهض عن المائدة واعتكف فى حجرته وتركنى أرتعد خوفا وفزعا .

وتناولت المظروف فاذا مكتوب عليه من داخله بالحبر الاحمر « ك.ك.ك. » وليس فيه شىء عدا بذور البرتقال الخمس .

ماذا يا ترى كان سبب هذا الرعب الشديد ؟ انى لم افهم شيئا ولكنى أحسست الخوف يزداد سيطرة على اعصابى ، فتركت مائدة الافطار وصعدت الى حجرتى ، فقابلته على السلالم هابطا من الطابق الاعلى وفى يده مفتـــاح يعلوه الصدأ لابد أنه مفتاح حجرة السطح وفى يده الاخـــرى صندوق حديدى صغير كالذى يستعمل لحفظ النقود فلما وقع بصره على قال مزمجرا :

- قد يفعلونها . وليفعلوا ما يشاؤون ، فـــلا زال فى وسعى ان أهزمهم . فأخبر الخادمة انى اريـــد نارا فى مدفأة حجرتى اليوم ، ثم أرسل فى طلب فوردهام محامى مدينة هورشام ليأتى فورا .

ففعلت ما أمرنى به دون ابطاء . وحضر المحامى فأدخلته حجرة عمى الخاصة ، وكانت النار فيها متقــدة ، وعلى حرف المدفأة ركام اسود مما يتخلف عن حـــرق أوراق ، والصندوق الحديدى مفتوح امامه على المائدة ، وقد اصبح خاويا .

ولما نظرت الى ذلك الصندوق ارتعدت فزعا لاننى وجدت منقوشة عليه من الداخل تلك الحروف الثـــلاثة الملعونة « ك.ك.ك. »

وقال لى عمى :

- اسمع ياجون ، أريد ان تشهد على وصـــيتى التى

ساكتبها الان . الضيعة بما لها وما عليها ، وجميع اموالي الاخرى ، لابيك أخى ، حتى تؤول اليك فى يوم من الايام ولا شك .

فاذا آلت اليك ونعمت بها فى سلام ، كان بها ..

وان لم يكن الامر كذلك فاتبع نصيحتى واتركها لاعدى أعدائك لانها لعنة ليس أشأم منها .

وانى لاسف أشد الاسف أن اترك لك تركة كهـــذه ذات حدين ، ولكنى لا اعلم الغيب ، وربما خلصت لك بخيرها وانصرف عنك شرها .

وأريد منك الان ان توقع على الوصية فى الموضع الذى سيريك مستر فوردهام اياه فوقعت كما أمرنى ، واخـــذ المحامى الوصية معه وانصرف كى يحفظها لحين الاجـــل المكتوب .

ولاشك ان هذا الحادث قد ترك فى نفسى أثرا عميقا .

ورحت أقلب الموضوع فى ذهنى على وجوهــه المختلفة ولكنى لم أفهم منه شيئا ، ولم استطع مع ذلك ان اطرده من خاطرى فى يقظتى او منامى .

وان كان ذلك الاثر العميق قد خف قليلا بمـــرور الايام والاسابيع فى سلام وهدوء .

أما عمى فانه زاد اقبالا على تعاطى الخمر والتدخين فى

حجرته الخاصة ، حتى اذا ثمل تماما فتح الباب وخرج مندفعا الى الحديقة ومسدسه فى يده ، فيطلق منه الرصاص فى الهواء وهو يصرخ صرخات جنونية :

- لست أخاف أحدا ! انا بطل ! أنا لا أخاف انسانا ولا شيطانا !

فاذا انتهى من افراغ طلقات مسدسه ثاب الى رشده ، وهدأ ثائره ، وعاد الى حجرته فأغلقها من الداخل ، كمن يعتصم من خطر مجهول ، ولكنه مؤكد وداهم وقد تصبب وجهه عرقا رغم برودة الجو .

وفى ذات ليلة يا مستر هولمز خرج فى نوبة من هذه النوبات ، ولكنه لم يعد ، فلما استبطأناه بحثنا عنه فوجدناه منكفئا على وجهه فى بركة آسنة فى طرف الحديقة ، وقد غص بالماء فمات .

ولم يكشف الفحص الطبى عن آثار عنف ، فقررت المحكمة أن الحادث انتحار .

ولكنى شخصيا كنت أعلم الناس بمبلغ خوفه من الموت

فلم أقنع أنه سعى اليه باختياره . ومهما يكن من شىء ، فقد انتقلت ملكية الضيعة الى والدى ، كما ورث أكثر من أربعة عشر الف جنيه ذهبا مودعة فى بعض البنوك » .

وعندئذ تصدى له شرلوك هولمز مقاطعا ، فساله قائلا :

- عفوك . ان روايتك من أمتع ما صادفنى فى حياتى . ولهذا أريد أن تحدد لى تاريخ تسلم عمك ذلك الخطاب ، وتاريخ وفاته بالضبط .

- لقد وصل الخطاب فى العاشر من مارس سنة ١٨٨٣ . ومات عمى بعد سبعة أسابيع من ذلك التاريخ فى ليلة الثانى من مايو التالى ...

- شكرا لك والآن أرجو أن تواصل الحديث .

- وعندما تسلم والدى الضيعة قام بناء على طلبى بفحص حجرة السطح بعناية ، فوجد فيها الصندوق الحديدى ولكنه فارغ وقد ألصقت بغطائه من الداخل ورقة عليها ما يأتى : «ك ك ك . أوراق ومذكرات وخطابات وايصالات وسجلات» . وهى تشير طبعا الى ما كان فى ذلك الصندوق من أوراق أحرقها عمى . ولم يكن فى الحجرة فيما عدا ذلك شىء لـه قيمة ، اللهم الا بعض أوراق متناثرة عن يوميات وحسابات عمى ابان اقامته فى الولايات المتحدة وبعضها يرجع الى أيام الحـــرب .

والبعض الاخر لمـا بعد ذلك ، ومعظمها تتصل بنشاطه السياسى ضد الوحدة بين الجنوب والشمال .

وكانت أقامة والدى فى الضيعة فى سنة ١٨٨٤ .

وقد مضت الأمور على ما يرام الى يناير ١٨٨٥ . ففى اليوم الرابع من ذلك الشهر سمعت والدى يطلق صيحة دهشه ونحن على مائدة الأفطار .

فنظرت نحوه ، فاذا فى يده مظروف مفتوح ، وفى راحة يده خمس بذور جافة من بذور البرتقـــال ، وكانت على المظـــروف من الداخل تلك الحروف الثـــلاثة الملعـونة « ك.ك.ك» . وتحتها سطر فيه الكلمات التالية « ضع الأوراق فى المزولة الموجودة بالحديقة » .

فبهت والدى وتحير ، وراح يسألنى أى الأوراق تعنى هذه الكلمات ، فقلت انها ولا شك تلك التى أعدمها عمى قبل وفاته ..

ونظرت فى ختم البريد فاذا الخطاب صادر من «داندى» . واقترحت أن أبلغ البوليس ولكنه أبى واظهر الشـجاعة محتجا بأن انجلترا بلد متحضر لا يجرؤ أحد فيه على مثل تلك الألاعيب الهمجية والتهديدات الصبيانية .

وكان والدى رجلا عنيدا لا سبيل الى أرجاعه عن رأيه ، وقد خشى اذا أبلغ البوليس أن يصبح ضحكة الناس ، وهو المتمسك باهداب الوقار والاحترام ، وفى اليوم الثالث لورود ذلك الخطاب توجه والدى لزيارة صـــديق له قائد حامية بورتسداون .

فسررت لرحيله ، لأننى ظننت أن ذلك يبعده عن موطن الخطر الذى كنت أتوقعه .

ولكنى كنت مخطئا جدا فى هذا الظن .

ففى اليوم التالى جاءتنى برقية من قائد الحامية يستدعينى فأسرعت مذعورا ، فوجدت والدى فاقد الرشد ، وقد تهشمت جمجمته على أثر سقوطه فى بعض الحفائر المحيطة بمزرعتنا لاستخراج الطباشير .

ثم أسلم الروح دون أن يفيق من غيبوبته .

وصدر حكم بأن الوفاة حدثت قضاء وقدرا .

والواقع أننى لم استطع العثور على أى أثر للعنف أو الجـريمة .

فلا آثار أقدام ، ولا سرقة ولا خبر عن وجـود غرباء فى المنطقة ، ومـع هذا فلا حاجة بى الى أن أؤكد لك أننى لم أكن مرتاح القلب من جهة الحادث ، كنت واثقا فى أعماق نفسى أنه راح ضحية مؤامرة محبوكة الخيوط . وهكذا آلت الى هذه التركة . ولعلك يا مستر هولمز تريد أن تسألنى لماذا لم أرفض الميراث المشؤوم .

وجوابى على ذلك أننى كنت مقتنعا تمام الاقتناع أن متاعبنا كانت تتعلق بحادث معين فى حياة عمى .

وأن الخطر اذا كان سيلاحقنى فليس بصفتى مالك الثروة الموروثة ، بل بصفتى سليل الأسرة .

فانا معرض له أينما كنت • وقد مات والدى فى ينـاير سنة ١٨٨٥ •

وقد انقضت على وفاته حتى اليوم سنتان وثمانية أشهر ، نعمت فيها بحياة ناعمة فى هورشام ، وبدأت أعتقد أن تلك اللعنة قد انقشعت سحابتها عن سماء الأسرة وانتهت بزوال الجيل الماضى الى أن وصلنى بالأمس خطاب كذلك الذى وصل الى أبى ، فيه خمس بذور جافة من بذور البرتقال •

وأخرج الشاب من جيبه مظروفا مطويا وضعه فوق المائدة ، وأخرج منه البذور الخمس الجافة واستطرد مخاطبا هولمز :

- وختم البريد يدل على أنه صادر من القسم الشرقى من لندن وداخل المظروف يحمل تلك الحروف الثلاثة «ك.ك.ك» ومن تحتها العبارة التى وردت فى خطاب أبى ألا وهى «ضع الاوراق فى المزولة بالحديقة » •

- وماذا صنعت ؟

- لاشىء : فقد أدركت أنه لا حيله لى ولا أمل •

- كلا يا أيها الرجل ، يجب أن تصنع شيئا والا فانت مقضى عليك •

- لقد اتصلت بالبوليس • فأنصتوا لقصتى باسـمين ، واعتقد أن مفتش البوليس حسبها دعابات عملية ، وان

وفاة عمى ثم والدى لا صلة لها بهذه الخطابات . ولكنهم كلفوا شرطيا بالاقامة معى فى المنزل للحراسة .

- وهل جاء معك الليلة ؟

- كلا فالأوامر الصادرة أن يبقى بالبيت .

- لماذا لم تأت الى فى الحال ؟

- اليوم فقط نصحنى برندر جلست بالحضور اليك .

- لقد انقضى يومان منذ أن وصل اليك الخطاب . وكان يجب أن نعمل شيئا قبل ذلك . هل لديك أية تفصيـــلات أخـــرى ؟

- شىء واحد فقط . !

وراح يفتش فى جيوبه ، ثم أخرج قطعة من الورق الباهت الضارب الى الزرقة فوضعها فوق المائدة وقال :

- أذكر أننى فى اليوم الذى أحرق فيه عمى الأوراق ، أن الهوامش التى لم تحترق كانت من هذا اللون بالذات .

أما هذه الورقة فقد وجدتها فوق أرض الحجرة ، وأعتقد أنها وقعت منه من بين الأوراق التى كانت فى الصندوق وبذلك أفلتت من الحريق .

ولم أجد فيها كلاما يعنينا فيما عدا الاشارة الى كلمة بذور .

وأحسبها صحيفة من مفكرة خصوصية .

أما الخط فهو لا شك خط عمى .

وانحنى هولمز كما انحنيت فوق الصحيفة الصغيرة وقرأنا فيها ما يلى :

« أربعة مارس سنة ١٨٦٩ . حضر هادسون .
٧ منه . أرسلت البذور الى ما كولى وبارامور .
٩ منه . ما كولى سافر .
١٠ منه . بارامور سافر .
١٢ منه . كل شىء على مايرام » .

ورفع هولمز رأسه عن الورقة وقال لزائرنا الشاب :

ـ شكرا لك .

ولكن يجب ألا تضيع دقيقة واحدة ، ولو لمناقشة الموضوع.

وانما يجب عليك أن تعود الى البيت فورا وأن تبادر الى العمل .

ـ وماذا تريدنى أن أعمل ؟

ليس أمامك الا شىء واحد ، يجب أن تعمله فورا . ألا وهو أن تضع هذه الورقة فى الصندوق الحديدى الذى وصفته لنا .

وتضع معها رسالة صغيرة تبين فيها أن عمك قد أحرق جميع الأوراق فلم يبق منها الا هذه .

ويجب أن يتضمن خطابك من التاكيد ما يجعل القارئ يقتنع بصدق ما تقول .

ثم تضع الصندوق فى المزولة بالحديقة .

واياك أن تفكر فى الانتقام او فى أى شىء من هذا القبيل فى الوقت الحاضر .

فأهم شىء الآن أن نزيح الخطر عنك ، ثم بعد ذلك نتفرغ لجلاء السر الغامض ومعاقبة الجانى أو الجناة ان أمكن ذلك .

فنهض الشاب وارتدى معطفه وقال وهو ينصرف :

اشكرك يا مستر هولمز ، فقد نفخت فى روحا جديدة . وساعمل بارشاداتك حرفيا .

– اياك أن تضيع واحدة .

وعليك أن تحافظ على نفسك الى أن تصل الى البيت . فليس عندى من شك أنك مهدد بخطر داهم . وأى طريق ستسلك ؟

– ساركب القطار من محطة واترلو .

– لا تزال الساعة دون التاسعة ، والشوارع مزدحمة . لهذا أعتقد أنك ستكون فى أمان . ومع هذا أوصيك بالاحتراس الشديد .

– انى أحمل مسدسا .

– هذا جميل . ومنذ الصباح ساتولى قضيتك .

– هل اتوقع أن اراك فى هورشام اذن ؟

– كلا فان السر فى لندن ، وسابحث عنه حتى اجلوه

- اذن سأحضر بعد يوم أو يومين لاخبرك بما جد من
نبر الصندوق والأوراق ولأتلقى ارشاداتك أولا بأول .

وانصرف الشاب ، وكانت العاصفة لا تزال على أشدها .

ولاذ هولمز بالصمت لحظة طويلة وهو يدخن غليونه

- أعتقد ياوطسن أن هذه القضية من أغرب القضايا التى
توليتها .

- فيما عدا عصابة الرؤوس الحمراء كما أعتقد .

- ربما كنت على حق . وان كنت أعتقد أن الخطر الذى
يتعرض له هذا الشاب أشد كثيرا من الذى كان يتهدد أبطال
قضية عصابة الرؤوس الحمراء .

- ولكن الى أى شىء يا عزيزى هولمز ترمز الحروف
ك.ك.ك.

- ان المسألة تتعلق بالمدة التى قضاها عم هذا الشاب
فى امريكا .

فأعطنى من الرف الذى بجوارك مجلد حرف الكاف من
دائرة المعارف الأمريكية .

وبالبحث اتضح ان هذه الحروف تشـــير الى جمـاعة
كوكلوكس كلان .

فسألت هولمز عن حقيقة هذه الجماعة فأوضح لى أنهـا
جماعة سرية كونها ابناء الجنوب بعد انتهاء الحرب الأهلية ،
ولم تلبث أن انتشرت شعبها فى جميع الولايات .

واغراضها الأســــاسية القاء الرعب فى قلوب الناخبين

الزنوج وقتل المعارضين أو اجبارهم على ترك البلاد . ويسبق اغتيالاتها الغامضة على الدوام انذار غريب يعرفه الجميع، هو فى بعض الأحيان مجموعة من أوراق البلوط ، وفى أحيان اخرى من بذور البرتقال .

وعلى من يلقى هذا الانذار اما ان يعدل عن مسلكه الذى أثار سخط الجمعية السرية ، أو يستعد للهرب من البلاد فاذا لم يفعل هذا ولا ذاك فانه ولا شك ملاق حتفه .

وتعتبر هذه الجمعية مضرب الأمثال فى دقة تنظيمها بحيث لا يفلت أحد من أعدائها من براثنها .

وقد أصيبت الجمعية فى سنة ١٨٦٩ بنكسة فجائية أخمدت نشاطها .

والى هنا انتهى الشرح المسـجل فى دائرة المعـارف الأمريكية الذى قرأه لى هولمز .

فالتفت هولمز الى وقد لمعت عيناه وقال :

ـ لم تلاحظ أن تاريخ خمود الجمعية تتفق مع تاريخ مغادرة عم الشباب لأمريكا ومعه أوراق الجمعية ؟ وهذا يفسر ميله للعزلة التامة .

وعدم خروجه أياما متوالية من حجرته الخاصة ، على سبيل الاحتياط .

وربما كانت الأوراق التى احرقت تتضمن معلومات تمس نفرا من أبرز الرجال فى الولايات المتحدة الجنوبية ، ولا يهدأ لهم بال حتى يستردوها .

والورقة التى أطلعنا عليها الشاب فيها اشـارات الى

تواريخ ارسال البذور ، ثم جلاء هؤلاء الاشخاص ، اى مغادرتهم البلاد .

ولهذا أرى أن الأمل الوحيد فى نجاة الشاب هو أن ينفذ ما أشرت عليه به ، لعل الجمعية تتركه بسلام .

وطلعت الشمس فى سماء صافية صباح اليوم التالى .

وقد وجدت شرلوك هولمز جالسا الى الافطـــار حين صحوت ، فخاطبنى معتذرا بقوله :

- اعذرنى فقد بكرت بالافطار لأن أمامى يوما حافلا للعناية بقضية الشاب أو بنشو وجلاء غوامضها .

- وما هى الطريق التى ستسلكها ؟

- هذا يتوقف على نتيجة استعلاماتى الأولى .

ألم تلاحظ ياوطسن أن الخطابات كانت صادرة من موانىء بعضها فى الشرق وبعضها فى هولندا وبعضها من لندن . وفى اعتقادى أن المرسل يطوف البحار فى سفينة .

ولما كان القتل قد حدث بعد وصول الخطاب من الهند بسبعة أسابيع ، فذلك يدل على أن السفينة التى يركبها المرسل أبطأ كثيرا من تلك التى حملت الخطاب وهذا يبعث على الظن بأنها سفينة شراعية .

ويقوى هذا الظن أن القتل حدث بعـد وصول خطاب مدينة داندى بهو لندة باربعة أيام ، وهو فرق معقول بين

سرعة سفينة بخارية وسفينة شراعية تقطعان المسافة بين هولندة وانجلترا ، فسأتولى أولا تحقيق اسماء السفن التى دخلت هذه الموانى فى التواريخ المذكورة .

وفى هذه اللحظة وقعت عينى على صحف الصباح ، فقرأت عنوانا جعلنى أصرخ :

- لقد تأخرت يا هولمز :

فقد وجـــد الشاب أو بنشو غريقا تحت جسر واترلو . ويعتقد أن رجله قد انزلقت فى الظلام وهو فى طريقه الى بعض السفن الراسية على شاطىء النهر .

ولم توجد فى الجثة آثار تدل على العنف أو المقاومة . والمرجح أن تقيد الحادثة قضاء وقدرا .

ووجم هولمز بضع دقائق محزونا ، ثم نهض وراح يتمشى فى الحجرة وقد احتقن وجهه غضبا .

ثم قال لى :

- لابد أن انتقم لهذا الشاب الذى جاءنى مستنجدا فقتلوه وهو خارج من بيتى .

وأنت تعلم أن ميناء السفن على طريق الذاهب من هنـا الى المحطة فالمسالة لا شك عندى فى أنها جريمة قتل . وسوف نرى أينا سيتغلب فى النهاية .

ثم خرج هولمز ، وقضيت يومى فى عيادتى الطبية ، فلم أعد الى شارع بيكر الا فى ساعة متأخرة من المساء .

ولم يكن هولمز قد عاد ، فانتظرته الى أن دخل قبيل العاشرة شاحبا متعبا ، فتوجه الى المائدة وتناول قطعة من الخبز راح يلتهمها بشراهة ، فقلت له :

- أراك جائعا ؟ ..

- بل أتضور جوعا فانى لم آكل شيئا منذ الافطار . وقد نسيت الطعام لفرط انشغالى .

- وهل وفقت ؟ .

- كل التوفيق فهم الآن فى قبضة يدى .

ثم تناول من فوق المائدة برتقالة قطعها بالسكين واستخرج منها بذورها ، فانتقى منها خمسا وضعها فى مظروف خال بعد أن كتب بداخله « ش . هـ » .

ثم أقفل المظروف وكتب فوقه العنوان التالى « الكابتن جيمس كلهون بالسفينة لون ستار . جورجيا » . ثم قال لى هولمز باسما :

- سيجد هذا الخطاب فى انتظاره حين يصل الى ميناء جورجيا وسوف يداخله الرعب .

- ولكن من هو الكابتن كلهون هذا ؟

- رئيس العصابة . وسأتصيد بقية الأفراد ، ولكنى أريد هذا أولا .

وكيف وصلت الى معرفته ؟

- قضيت نهارى فى ادارة سجلات السفن أتتبع كما قلت لك السفن الشراعية التى يتفق وصولها الى انجلترا قادمة فى التاريخ الأول من الهند وفى التاريخ الثانى من هولندة. ولفتت نظرى لأول وهلة السفينة لون ستار أى النجمة الوحيدة فتوجهت الى الارصفة ، فعلمت انها أقلعت هذا الصباح الى جورجيا . وبالبحث تبين أن قبطانها كاهون من الولايات الامريكية الجنوبية .

وقد اتصلت بادارة البوليس ، فخابرت ميناء جورجيا للقبض عليه وتسليمه للبوليس الانجليزى لمحاكمته بتهمة قتل الشاب اوبنشو .

ولم يطل انتظارنا لاخبار السفينة لون ستار ، فقد حملت الينا الصحف بعد أيام معدودات نبأ غرقها ببحارتها جميعا فى زوبعة شديدة قبل أن تصل ميناء جورجيا .

وهكذا كانت عدالة السماء أسرع من عدالة الأرض .

الجريمة العجيبة

كنت مع شرلوك هولمز فى باريس ذات مرة ، وبينما كنا نقرأ احدى صحف المساء يوما ما ، استرعى انتباهنا نبأ نشرته الصحفية كما يلى :

« جريمة وحشية .. فى نحو الساعة الثالثة من صباح اليوم استيقظ سكان حى سان روش من نومهم على صوت صرخات مروعة متتابعة تنبعث من الطابق الرابع لأحد منازل شارع مورج وهو منزل تقطنه سيدة تدعى مدام لسنباى وابنتها المودموازيل كاميليا فهرع بعض الجيران ومعهم اثنان من رجال الشرطة .

ولكن الصرخات انقطعت ، وبلغ مسامع القادمين صوتان مختلفان ينبعثان من أعلى المنزل ، كأنهما لشخصين يتناقشان فى حدة وغضب ومالبثت هذه الضجة ان انقطعت بدورها وساد المنزل سكون شامل رهيب ...

فلما وصل الرجال الى الطابق الرابع انتشروا يبحثون فى حجراته حتى بلغوا حجرة خلفية كان بابها موصدا واقتحموه ، رأو أمامهم منظرا جعلهم يحبسون انفاسهم دهشة وفزعا ، فقد كانت تسود الحجرة حالة من الاضطراب والفوضى لم ير أحد لها مثيلا ، اذا كان بعض الأثاث محطما وقد تناثرت اجزاؤه فى جميع الأنحاء .

وكان على أحد المقاعد سكين تخضب بالدماء نصلها ومقبضها ، وعلى رخامة الموقد خصلتان أو ثلاث من شعر بشرى وخطه الشيب .

ووجدت على ارض الحجرة اربع قطع ذهبية قـديمة ، وقرط من الياقوت وبعض الانية الفضية ، وحقيبتان بهمـا نحو اربعة آلاف فرنك ذهبا . وكان فى ركن الحجرة مكتب صغير وجدت ادراجه مفتوحة وقد تناثرت محتوياتها ، كما وجدت خزانة حديدية صغيرة تحت حشية الفراش فى وسط الحجرة وقد فتح بابها ولا يزال المفتاح موضـوعا فيه ، وبداخلها بضع خطابات قديمة واوراق لاقيمة لها . .

ولم يعثر على اثر لمدام لسبناى . . غير ان الحـاضرين لاحظوا وجود كمية غير عادية من السـواد الذى يعلق بالمداخن منثورا فى الموقد فبحثوا فى المدخنة وعندئذ رأوا شيئاً هائلا ، رأوا جثة الفتاة محشورة داخل المدخنة الضيقة ورأسها الى الاسفل ، وكانت الجثة لا تزال دافئة ، وعليهـا كدمات شديدة فى جميع اجزائها ، كما كانت بالوجه جروح وتسلخات غريبة الشكل بشعة المنظر ، وحول العنـق آثار غائرة قاتمة اللون تحيط بها شقوق عميقة من أظـافر حادة تدل على ان الضحية ماتت خنقا . .

ولم يعثر على شىء آخر فى المنزل ، رغم تفتيشه تفتيشا دقيقا ، وانما وجدت جثة مدام لسبناى فى فناء صـغير مرصوف خلف المنزل وقد قطع عنقها كله بحيث فصل الرأس عن الجسد عندما حاول الرجال رفع الجثة . وكان كلاهمـا فى حالة التشويه والاختلاط حتى كادت تختفى معالمهما .

وقد علمنا أن البوليس لم يهتد الى حل لهذا اللغز الهائل المروع .

وفى الصباح استجوب اشخاص كثيرون هذه خلاصة شهادتهم .

بولين ديبورج غسالة .. تعرف المحنى عليهما منذ ثلاث سنوات ولكنها لا تعلم شيئا عن مواردهما أو وسائل معيشتهما ، وان الشائع انهما تدخران بعض النقود ولا يزورهما احد .

بيير مورو : بائع تبغ . كانت السيدة عميلة له منذ أربعة أعوام ، وهى تملك هذا المنزل وتقطن فيه بمفردها مع ابنتها وتأبى أن تؤجر شيئا من طوابقه الثلاثة السفلى . وهما تعيشان فى معزل عن الناس .

ويشاع انها تكتزان اموالا ، ولم ير احد يدخل باب المنزل سوى السيدة وابنتها واحد الاطباء الذى قدم نحو عشر مرات خلال الاعوام الستة الماضية . ولا يعرف ان لسيدة أقارب أو أصدقاء وكانت نوافذ الحجرات الامامية لا تفتح الا نادرا ، أما الخلفية فكانت موصدة دائما وفى تلك الحجرة الكبيرة وجدت جثة الفتاة .

أبزيدور موزيه : شرطى شهد بأنه تقدم الجمع فى اقتحام الباب الخارجى وكان الصراخ لا يزال ينبعث مدويا من اعلى المنزل ، ثم انقطع فجاة .. وهو يبدو كانما يصدر عن شخص أو عدة اشخاص يقاسون آلاما هائلة .. فلما بلغ الشاهد الطابق الاول سمع صوت شجار بين شخصين مختلفين احدهما صوته غليظ أجش والثانى حاد رفيع ،

وهو صوت غريب غير مالوف .. واستطاع أن يميز بعض كلمات الاول - وهو صوت رجل فرنسى وليس امـــرأة - يهتف : « يا للعنة .. ياللشيطان . » أما الصوت الحاد فلشخص اجنبى ، لا يجزم أن كان رجـــلا أو امرأة ، يدمدم بلغة غير مفهومة لعلها اسبانية .

هنرى دوفال : تاجر أدوات فضية .. كان ضمن الذين اقتحموا المنزل ، ويؤيد شهادة الشرطى اجمالا ، ولكنه يظن ان الصوت الحاد لشخص ايطالى وان كان لا يعرف الايطالية ..

مارك أو دينهمر : صاحب مطعم .. هولندى الجنسية وقد تقدم الشهادة متطوعا فقال انه كان يمر أمام المنـــزل عندما انبعثت الصرخات منه عاليه متتابعة ، وقـد ظلت عشر دقائق .. وتبع الذين دخلوا المنزل ويؤيد أقـــوال الشهود السابقين الا فى شىء واحد وهو ان الصوت الحـاد لشخص فرنسى (والشاهد لا يعرف الفرنسية) وهو واثق أنه صوت رجل ، ونبراته تنم عن الخوف والغضب معـــا

جول منيو مدير مصرف .. يشهد بأن مدام لسنباى تملك بعض العقارات ، ولها حساب فى المصرف منـــذ ثمانية أعوام . لم تسحب شيئا من حسابها قط الا قبل مصرعهـا بثلاثة أيام اذ أخذت بنفسها أربعة آلاف فرنك ذهبا وارسل معها أحـد الكتبة ليصاحبها الى منزلها .

أدولف ليبون : كاتب المصرف يشهد بانه صحب السيدة حقا وهو يحمل الحقيبتين اللتين تحويان النقود . ولكنه

ام يلج المنزل وأنما فتحته الآنسة لسنباى وتناولت منه احدى الحقيبتين بينما حملت السيدة الحقيبة الاخرى فحياهما وانصرف .. ولم ير أحدا يمر فى الشارع وقتئذ .

وليم بيرد : ترزى انجليزى الجنسية ، وكان ضمن الذين اقتحموا المنزل وهو واثق ان الصوت الاجش لرجل فرنسى كان يصيح : يا الهى ! . » فضلا عما ذكره الشهود السابقون

أما الصوت الحاد فيبدو انه لشخص ألمانى ، وان كان المشاهد لا يعرف الالمانية .. وقد أضاف أنه سمع صوت نضال بين عدة أشخاص ، أو لعله صوت جر أشياء ثقيلة ..

وقرر الشهود السابقون ان باب الحجرة كان موصدا من الداخل فلما اقتحموه لم يجدوا بها احدا .. وكانت النوافذ جميعا محكمة الاغلاق .. وبين الحجرتين الامامية والخلفية باب مغلق ولكنه غير موصد ، اما الباب المؤدى من الحجرة الامامية الى الممر فكان موصدا ومفتاحه من الداخل .. وكانت توجد فى مقدمة المنزل ، عند طرف الممر ، حجرة صغيرة وجد بابها مواربا ، وهى مكتظة ببعض الاثاث القديم والصناديق .

الفونسو جارسيو : مقاول اسبانى .. موقن بأن الصوت الاجش لرجل فرنسى ، أما الحاد الرفيع فلشخص انجليزى وان كان لا يعرف الانجليزية .

البرتو مونتانى : حلوانى ايطالى .. يؤكد ان الصوت

الحاد ليس لشخص ايطالى وانما يظنه روسيا ، وان كان لا يفهم هذه اللغة .. أما الاجش فلرجل فرنسى بلاشك .

وقد شهد الجميع بأن مداخن الطابق الرابع من الضيق بحيث لا تتسع لمرور انسان ، كما لايوجد بالمنزل ممر خلفى يمكن لاحد ان يفر منه . وكانت جثة المدموازيل لسبناى محشورة فى المدخنة لدرجة انه لم يكن جذبها الى الاسفل الا بعد ان تعاون فى ذلك اربعة او خمسة رجال من الحاضرين ..

الدكتور بول ديماس : شهد بأنه دعى لفحص الجثتين عند الفجر فوجد جثة الفتاة مشوهه وبها رضوض جسيمة يحتمل ان تنشأ من محاولة حشرها فى المدخنة .. ولا ريب انها ماتت خنقا ..

أما الام فكانت جثتها بالغة التشويه وقد تحطمت عظام الجانب الايسر منها .

وكان رأس القتيل مفصولا عن جثتها . وقد قطع بأداة حادة .

ولم يفسر التحقيق عن شىء ذى أهمية غير ما تقدم على الرغم من الجهود الخارقة التى يبذلها المحققون .. والواقع أنه لم يسبق ان وقعت فى باريس جريمة تماثل هذه الجريمة هولا وغموضا ، فضلا عن انه لا يوجد دليل واحد يمكن تتبعه .. »

وقد القى القبض على أدولف ليبون ، كاتب المصرف ، وأودع السجن رغم انه لم ينهض ضده أى دليل على اشتراكه فى هذا الحادث .

وكان هولمز شديد الاهتمام بهذه القضية .

وعندئذ سألنى عن رأيى فى مصرع السـيدتين .. لم يسعنى الا أن اوافق على الرأى الذى يسود باريس كلها وهو انه أمام لغز غامض .

فأجاب اننى أشاطرك هذا الرأى لمجـرد ان البوليس الفرنسى قال ذلك وسوف اذهب للقاء مدير البوليس وأحصل بواسطته على الترخيص اللازم لزيارة مكان الحادث .

وهكذا اذهبت مع شرلوك هولمز وبعد ظهر اليوم نفسه ، الى منزل شارع مورج ، وقد وجـدته منزلا عاديا ذا باب ضخم درنا حوله وهولمز يدقق النظر فى المنازل المجـاورة له ، حتى اذا ما بلغنا الفناء الصغير الخلفى ظل يتطلع الى الاعلى وهو مستغرق فى اتفكير الى حد لم أر له سببا معقـولا .

وأخيرا دخلنا الحجرة .. ولم أر شيئا يزيد على ما نشرته الصحف ولكن هولمز راح يدقق النظر فى فحص كل ما يقع تحت نظره بما فى ذلك جثتى القتيلتين ، وكذلك الحجرات الاخرى جميعا ، وظل فى هذا البحث الدقيق الى الغروب .

وفى خلال عودتنا الى الفندق عرج صديقى على احدى الصحف اليومية فأمضى فيها لحظة وجيزة ومع اننى قـد اعتدت غرابة أطوار هولمز ، الا اننى عجبت أشد العجب اذ لم يذكر هذا الحادث بكلمة واحدة حتى ظهر اليوم التالى

عندما سالنى فجاة اذا كنت قد لاحظت فى مكان الجريمة شيئا شديد الغرابة ؟ وكان فى لهجته ما جعلنى ارتعد وانا أجيبـــــــه :

- كلا .. لم ار شيئا خاصا اكثر مما قرأناه فى الصحيفة

ان الصحيفة لم تتعمق فى بحث هذه القضية مثلما فعلت، وقد حار رجال الشرطة فى معرفة الدافــع الحقيقى ، ولم يستطيعوا ان يوفقوا بين ما ذكره الشهود عن ســـــماعهم صوت شجار بين شخصين ، وبين تلك الحقيقة الواقعـــة من أن احدا لم يكن بالحجرة سوى جثة الفتاة المنكردة .

كما لم يكن بالمنزل منفد آخر يمكن أن يسلكه الجناة فى فرارهم ثم أن مظاهر الفوضى التى انتشرت فى الحجرة ، والتشويه المروع للجثتين ، ومحاولة حشر جثة الفتاة فى المدخنة ، كل ذلك جعل رجال البوليس يقفون مكتـــوفى الايدى ، والواقع ان السهولة التى سوف أصل بها الى حل هذا اللغز ترجع مباشرة الى السبب الذى جعله فى نظـر البوليس عسيرا :

وانى الآن فى انتظار شخص معين ، وعلى الرغم من انه ليس مرتكب هذه المذبحة المروعة الا انه يعـد مسئولا عنها بطريقة مباشرة ، ومن المحتمل أن يكون بريئا من تبعة هذه المأساة ، وارجو اكون مصيبا فى هذا الرأى فقد بنيت على اساسه حل اللغز بأكمله .

فدعنا نرى الان ما هو الشىء الذى يبدو غريبا فى هذه الشهادة ، لقد اجمع الشهود على ان الصوت الاجش كان

رجل فرنسى ، واستطاعوا ان يميزوا بعض كلمـــاته ، ولكنهم اختلفوا جميعا فى تحديد اللغة التى كان يتحدث بها ذو الصوت الحاد الرفيع وقد كان بين الشهود ايطالى وانجليزى واسبانى وهولندى فضلا عن الفرنسيين أنفسهم فراح كل منهم يصف هذه اللغة بانها لغة شعب آخـــر غير الذى ينتمى اليه .. أفلا يدل هذا الاختلاف على أن تلك اللغة كانت عجيبة حقا ، وأنها لم تكن أحدى اللغات المعروفة فى أوروبا كلها ثم هل لاحظت ما جاء فى شهادة بعضهم من أن صوت صاحبها كان سريعا غير متسق النبرات ، وان أحدا لم يستطع أن يميز منه كلمة واحدة ؟ . ولست أدرى ما الذى يمكنك أن تستنتجة من هذه اللشهادة ، ولكنى أرى أنها توحى بفكرة جديدة عن طريق جديد يمكن أن نسلكه فى حل هذه القضية . أما هذه الفكرة فلن أحدثك عنها الآن وأنما أود أن الفت نظرك الى أن هذه الفكرة بالذات هى التى جعلتنى أوجه أبحاثى فى الحجرة الى وجهة معينة .

ولاريب أن مدام لسبناى وابنتها لم تلقيا مصرعهما على يد الأشباح والشياطين ، وانما على يد قتله اســـتطاعوا الفرار .. ولكن كيف ؟ . لقد تبين أن القتلة كانوا فى الحجرة التى وجدت فيها جثة الآنسة لسبناى ، أو فى الحجرة المتصلة بها ، فى الوقت الذى كان فيه الجيران يرتقون درج المنزل ، اى أننا يجب أن نبحث عن المنفذ الذى فروامنه فى هاتين الحجرتين فقط ..

ولعلك تعلم أنه توجد نافذتان فى تلك الحجرة الخلفية .

ولكننى مضيت فى البحث تدفعنى الثقة بأن القتلة قد خرجوا من احدى هاتين النافذتين حتما فكيف وجدت مغلقة اذن ؟ . وأخيرا استطعت أن أتبين شيئا لم يره رجال البوليس وهو أن مزلاج النافذة مزود بزمبرك داخلى يجعله يغلق من تلقاء نفسه اذا ما هبط المصراع الى مكانه . ومع ذلك فقد بقيت مشكلة المسمار .. وقد فحصت مسمار النافذة الأولى ووجدته سليما ، ولكنى عند ما شرعت فى فحص مسمار الثانية أكتشفت بغتة أنه مكسور وهو كسر قديم يعلوه الصدأ .. وبذلك جلوت الكسر وأدركت أن من الميسور أن يخرج القتلة من هذه النافذة ثم ينزلوا مصراعها فيغلق من تلقاء نفسه ، ومع ذلك يظل جزءا المسمار فى موضعيهما ويخيل لمن يراه أنه مسمار سليم .

ولم يبق أمامى إلا أن أتبين الوسيلة التى استطاعوا بها أن يهبطوا من الطابق الرابع .

وهكذا تجدنا ياعزيزى وطسن أمام مجرم خفيف الحركة بالغ القوة هائل الوحشية ويحشر جثة احدى ضحيته فى المدخنة ثم يلقى بالأخرى من النافذة ، وهو بعد ذلك يتحدث لغة غير مفهومة » .

قلت : لعله مجنون هارب من مستشفى الأمراض العقلية

– ولكن المجانين يتحدثون بلغاتهم الأصلية .

ثم ان المجانين ليس لهم هذا النوع من الشعر الذى وجدته فى قبضة يد السيدة ٠

ثم فتح هولمز يده فاذا بها خصلة صغيرة من الشعر ما كدت افحصها حتى صحت :

- هولمز ٠٠ اننى أرى شيئا عجيبا ٠ فهذا ليس شعرا بشريا ٠٠

- اننى لم أقل أنه كذلك ، ولعلك تذكر أن الشهود قد سمعوا صوت رجل يصيح بالفرنسية « يا الهى » ثم «ياللعنة» وقد دلنى ذلك على أن رجلا فرنسيا شهد تلك المجزرة المروعة ٠

ولاريب أنه صاحب القرد نفسه ، وقد فر منه فأسرع خلفه يقتفى أثره حتى اذا رأى ما حدث بادر بالفرار خشية المسئولية ٠ ولكن هذا الاعلان الذى نشرته بالأمس فى صحيفة يومية منتشرة فى دوائر البحارة سوف يدفعه الى الحضور الى هنا ٠

وأخرج هولمز احدى الصحف من جيبة فقرأت بها :

« عثر فى الصباح الباكر فى غابة بولونيا على قرد كبير الحجم من نوع الأورانج ويمكن لصاحبه أن يسترده ثانية بعد أن يدفع مبلغا زهيدا لقاء نفقات طعامه هذين اليومين ، والمخابرة بالغرفة رقم ٢٧٦ بفندق مترو بوليتان » ٠٠

سمعنا طرقا خفيفا على الباب ، فقام صديقى لفتحه واذا بنا نرى رجلا يرتدى ثياب البحارة ، فقدم له هولمز مقعدا فجلس وهو يقول :

- طاب يومك يا سيدى .. لقد جئت فى طلب الاورانج أوتانج الذى عثرت عليه ، واننى مستعد لدفع ماتطلبه ..

- حسنا .. أن تخبرنى بالتفصيل بماتعرفه عن جريمة شارع مورج ثم أخرج مسدسه وصوبه الى الملاح ..

فتخاذل الرجل فى مقعده وراح يقول :

- سوف أقول لك كل ما أعلمه .

لقد عرجت سفينتنا فى رحلتها الأخيرة على جزر الهند الشرقية وهبط فريق منا فى بورنيو للنزهة فتوغلنا فى الغابات قليلا ، وعندئذ استطعت وأحد زملائى أن نصطاد الأورانج ثم نقلناه الى السفينة .. حتى نجحت أخيرا فى احضاره الى مسكنى بباريس حيث أودعته حجرة صغيرة داخل حجرتى وأغلقت بابها عليه .

فلما عدت الى منزلى فى تلك الليلة وجدته قد حطم باب الحجرة الصغيرة وخرج الى حجرتى ثم جلس أمام المرآة وأمسك بالموسى فى يده وهو يحاول أن يحلق لحيته مقلدا الحركات التى كان يراها منى .. وما لبثت أن أحضرت السوط فما كاد يرانى حتى أسرع يهبط الدرج الى الطريق .. فرحت أعدو خلفه ، حتى بلغنا ممرا ضيقا خلف شارع مورج فاندفع الى اسطوانة مانعة الصواعق وراح يتسلقها فى خفة عجيبة ، ثم أمسك بمصراع النافذة وما لبث أن قفز داخل الحجرة ..

ولم يستغرق ذلك كله دقيقة واحدة ، فظننت ان القرد قد سقط فى الشرك اذ لن يستطيع الفرار منى بعـد ذلك واسرعت أتسلق الاسطوانة خلفه ، وهو عمل يسير لمـلاح مثلى ولكنى عندما بلغت مستوى النافذة لم أستطع الوصول اليها فرحت أنظر الى ما يجرى داخل الحجرة ، ويا لهول ما رأيت .. فقد كانت مدام لسنباى وابنتها فى ثياب النوم وقد جلستا فى منتصف الحجرة تضعان نقودا فى خزانـة حديدية مفتوحة ولا ريب انهما تديران ظهريهما الى النافذة فلم تريا القرد وهو يثب منها ، ولكنهما ماكادتا تحسـان به حتى انطلقتا تصرخان فى فزع ، فامسك القرد بمدام لسبناى من شعرها وراح يمر بالموسى على وجهها كانمـا يريد أن يحلق لها لحيتها .. بينما استلقت الفـتاة على الأرض غائبة عن الوعى . وراحت السيدة تناضل الوحش فى قوة وعنف حتى انتزعت خصلات شعر من رأسه ... فاثار هذا النضال ثائرته وأهاج غريزته الوحشية ، وبضربة واحدة بالموسى من ذراعه القوية أطاح برأسها وزاده مرأى الدماء توحشا وجنونا ، فمضى الى الفتاة وانشب اظافره فى عنقها حتى قضت نحبها وفى تلك اللحظة وقعت عيناه على وجهى وانا اتعلق باسطوانة مانعة الصواعق ، ... وعندئذ تحول الى خوف مفاجىء ، اذ رأى السـوط ، وصور له تفكيره الحيوانى أن يخفى جرمه البشع فـراح يقفز خلال الحجرة ..

وما لبث أن حمل جثمان الفتاة وراح يحشره فى المدخنة .. ثم تحول الى جثة العجوز فحملهـــا وألقى بها مـن النافذة ..

وما أن رأيته يقترب منى بعمله البشـــع حتى أسرعت أهبط الاسطوانة وأنا أرتعد خوفا وذعرا ، وانطلقت الى منزلى غير مبال بما قد يصيب الأورانج أو تانج ، وقنعت من الغنيمة بالاياب .. أما الأصوات التى سمعها الشهود فكانت صيحات غضبى ودهشتى ممتزجة بهمهمة القـــرد فلما أتم الرجل روايته صحبه هولمـز الى ادارة البوليس حيث أدلى بهذا الاعتراف كتابة وامكن بمعاونة صـديقى اطلاق سراح أدولف ليبون التعس .

وليس لدى ما أضيفه الى ما تقدم سوى أن القرد قد عثر عليه فى اليوم التالى مختفيا فى قبو منزلى بشارع مورج نفسه ولا تزال آثار الدماء متجمدة على مخالبه وشـــعره فحمل الى حديقة الحيوان وبذلك أسدل الستار على أروع مأساة شهدتها باريس فى القرن الماضى بأكمله .

« تمـت »

طبعت بمطبعة دار الشباب

رقم الايداع بدار الكتب ٩٠/٣٧٥٦

روايات الجيب

المجلة القصصية الفريدة
التى تقدم إلى قرائها افضل
ما انتجته روائع القصص
العالمية والمغامرات

مجلة روايات الجيب : الثمن ١٠٠ قرشا
رئيس التحرير : عمر عبدالعزيز امين